حلمي مهران

HELMY MAHRAN

القضية الثامنة

عُقد الهانم

أحمد عثمان

إبداع
تدوين

ART_OF_BOOK

@ART_OF_BOOK

الكتـــــــاب: حلمي مهران: القضية الثامنة: عقد الهانم
اسم المـــؤلف: أحمد عثمان
الغلاف والرسم: ندى عاصم - شريهان صلاح
التدقيق اللغوي: عيد إبراهيم
الطبعـــــــة: فبراير 2026

رقـم الإيـــداع: 2026 / 4418
الترقيـم الدولـي: 978 - 633 - 307 - 007 - 1
الموقع الإلكتروني: www.ibda3eg.com

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله
dreidibrahim@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

للتواصل بخصوص النشر:
info@ibda3eg.com
==========
للتواصل بخصوص المبيعات
00201004022774

العنوان: 10 ش هدى شعـــــراوي، وســـط البـــــلد، القاهـــــرة
هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173
البريد الإلكتروني: info@ibda3eg.com

dar_ibda3
dar_ibda3

#سارق-في-مملكتي

قد يُقابل «حلمي مهران» في كل عدد بعضَ شخوص عوالم الكاتب، وأبطال أعماله الأخرى، إلا أن كل عمل يُحافظ على استقلاليته، ولا يتطلب قراءةَ أو متابعة بقية الأعمال لمتابعة السلسلة.

فقط سلسلة «حلمي مهران» وأن كان هناك بعض الأعداد المستقلة التي لا تطلب متابعة بقية السلسة؛ والتي كُتبت بطريقة بوليسية يغلبُ عليها طابع الحوار السينمائي.

إهداء

إلى كل زائر لليتامى

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ

سورة الأحزاب (4)

صدق الله العظيم

لحظات طويلة ظل فيها «أمير» صامتًا؛ يهز قدمه بصورة لا إراديه من توتره الممزوج بالتردد، من أمام «سلوى» مديرة الملجأ التي بدأت تمل من سكوته، إلا أنه هيئته كانت تؤكد أهميته، فهو ثلاثيني أنيق المظهر؛ يرتدي بذلة كلاسيكية لم يعد يرتديها جيله إلا في المناسبات.

-أجيب لحضرتك حاجة تشربها طيب؟

لم يسمعها «أمير» الشارد في ملكوته لتشعر «سلوى» بالانزعاج وهي تمرر يدها على شعرها القصير قديم الطراز وهي تناديه بصوت مرتفع.

-يا أستاذ «أمير»!!

انتبه «أمير» للتو وكأنه استيقظ للتو.

-حضرتك منورني بقالك ساعة، وأنا مش فاهمة أي حاجة.

خلع «أمير» نظارته ذات الإطار الخشبي قديم الطراز؛ ليمسح زجاجها وهو يجيب:

-أنا زي ما قولتلك عايز أتبرع للملجأ.

-أيوة يا فندم ما حضرتك قولتلي كدة فعلًا بس محددتليش المبلغ.

-أصل أنا ماما توفت قريب، النهاردة الأربعين بتاعها.

رغم أن «سلوى» تعدت الستين من عمرها؛ إلا أنها كانت صبورة؛ حيث اعتادت على مجاراة الأطفال في الملجأ؛ لذا تحلت ببعض الصبر رغم تكرار حديث الرجل،

فخلعت نظارتها الطبية وهي تقول:

-يا فندم ما حضرتك قولتلي وربنا يرحمها ان شاء الله، بس برضه محددتليش المبلغ.

-«رحمة» هانم اسمها، أكيد تعرفيها.

شردت «سلوي» قليلاً؛ بعد سماعها الاسم الذي بدا مألوفًا لها وتكرر على مسامعها عديد من المرات؛ سواء من قرب فيلتهم من الدار، أو في العمل الخيري؛ فقد كانت «رحمة» شهيرة في المجتمع بالفعل خاصة لتبنيها الكثير من الأعمال الخيرية.

-أيوة يا أستاذ «أمير» حتى بالأمارة انتوا ساكنين في فيلا الهانم إللي على آخر الشارع.

-بالضبط كدة، حضرتك عرفتي منين؟

تساءل «أمير» مندهشًا رغم أنه أخبرها باسمها منذ قليل، إلا أنها لم تنهره وتقبلت تشتته، فلقد صار يتيمًا مثله مثل أطفال الملجأ، فخسارة الأم في أي سن هي الخسارة الأهم في حياة أي شخص.

-طيب واضح ان وفاة «رحمة» هانم مأثرة فيك لسه.

زاد شرود «أمير» ؛الذي بات كطفل صغير لا حول له ولا قوة.

-هي كانت كل حياتي فعلًا، وهي كان كل حياتها للناس.

-طيب ممكن تقولي المبلغ اللي حضرتك عايز تتبرع بيه لروح الهانم؟

مسح «أمير» عرقه، ثم أجاب متلعثمًا.

- حوالي 50 مليون جنيه.

توترت «سلوى»؛ فلم تكن تتوقع مثل تلك الإجابة، ولا هذا المبلغ المهول؛ الذي رغم عملها بالعمل الخيري منذ سنوات عديدة، فلم يمر عليها تبرعًا بتلك القيمة منذ قبل، حتى أنها لم تستطع التماسك لتسكب المياه التي حاولت ارتشافها.

-حوالى!

-ما هو ده بيت القصيد.

قالها «أمير» لتبتلع «سلوي» ريقها وتتساءل عن مقصده، فيجيبها بتلك الإجابة الأكثر غرابة!

الأمر الذي كان يتعدى صلاحياتها، مما اضطرها الخروج من الغرفة والاتصال ب«حلمي مهران»؛ الممول الأساسي للملجأ والمسؤول عن كل تصاريحه منذ سنوات طويلة، وحتى قبل أن يمتهن المحاماة، فلقد كان لهذا الملجأ تاريخًا قديمًا لدى «حلمي مهران» منذ حادثته الأولى في الحادي والثلاثين من تشرين الأول!

من مكتبه أجاب «حلمي مهران» الهاتف حين وجد اتصال «سلوى»، فلقد كان يعطي دومًا الملجأ أولويته.

-في إية يا «سلوى»؟

تساءل «حلمي مهران» فور إجابته الاتصال، فلم يكن معتادًا على اتصالها.

-معلش يا أستاذ «حلمي» بس في موقف أنا معرفش المفروض أعمل فيه إية؟

لم يقاطعها «حلمي مهران» اختصارًا للوقت، فلقد كان الفضول غلبه؛ لتحكي «سلوى» الأمر كله على «حلمي مهران» وصولًا إلى مربط الفرس، لتتابع «سلوى» قَصِّها.

-المشكلة بقى يا أستاذ «حلمي» إن الفلوس مش هتبقى كاش، دي هتبقى حاجة ثمينة.

-حاجة إيه؟

تساءل «حلمي مهران» لتجيبه «سلوى» من فورها.

-عقد.....عقد الهانم.

***

قبل عدة أيام

بعد انتهاء مراسم دفن «رحمة»؛ عاد «أمير» إلى القصر منكسرًا، فتح له الحارس البوابة التي كتب عليها «قصر الهانم»، ليدخل «أمير» ويصفّ سيارته عند الجراج المطل على الحديقة التي ظهر الحزن على أشجارها؛ ألمًا على فراق «رحمة».

ترجل «أمير» ملاحظًا انكسار زهور حديقته، ثم دلف إلى الداخل حيث كان الخدم هم الآخرين في حالة يرثى لها، فقد كانت سيدة هذا القصر أمًا للجميع؛ وليس لـ

«أمير» فقط، جلس الأخير وسط الصالونات الكلاسيكية؛ حتى انتبه إلى إضاءة غرفة والدته المفتوح بالأعلى، ففرح قلبه لوهله، ظنًا منه أنه قد يكون حالمًا، فأسرع إلى أعلى، عله يستيقظ من هذا الكابوس، ويجد والدته على سريرها، بخطوات سريعة قفز على السلالم؛ وصولًا إلى الغرفة وفتح بابها الموارب وقلبه ممتلئ بالأمل الذي انهار فور رؤيته لزوجته العشرينية «مها» التي سوّلت لها نفسها اقتحام حرمة المكان، وفتح خزنة «رحمة» والتمعن في مجوهراتها.

-إنتي بتعملي إيه يا «مها»؟!

توترت «مها»، والتفتت إلى زوجها.

-ولا حاجة باطمن على حاجة طنط، مش كفاية الخزنة من غير مفتاح؟!

اقترب «أمير» والغضب قد بدأ يزاحم حزن قلبه.

-وهي ماما كانت هتحتاج مفتاح ليه؟ ما كل اللي هنا عايش من خيرها!

-برضه يمكن لما راحت؛ حد من الخدامين يطمع.

-يطمع! اللي انتي بتتكلمي عليهم دول مربيني.

-الحق عليا إني رجعت من الدفنة بسرعة عشان خاطر مالك.

-وهو أنتي جيتي الدفنة أصلًا يا «مها»!

قالها وقد صارت رؤيته ضبابية لكل شيء؛ فاستغلت هي طيبة قلبه وتوجهت إليه ملتفّة

حوله لتجعله يجلس وتبدأ بدعك كتفه لتزيل من عليه الألم فتستطيع زرع سُمها.

-معلش يا حبيبي! أنا عارفة إنك تعبان وشايل هم الدنيا كله على دماغك، بس ماتخافش أنا معاك، وهعوضك أي حد.

-لأ.

قالها وهو يقف متابعًا:

-أمي ماتتعوضش.

توجه ناحية مجوهراتها؛ وصولًا إلى هذا العقد الخاص جدًا؛ الذي كانت ترتديه في المناسبات الخاصة جدًا، وهو ليس مجرد عقد؛ بل يعتبر أثرًا فنيًّا نادرًا صيغ ليكون خارج منطق المقارنة.

الذهب لم يكن مجرد معدن، بل كان سائلاً متجمداً من شمس مصر الأبدية، منحوتاً بأيادٍ لا تعرف الخطأ، متشابكاً في حلقات تحكي قصة الخلود. كل حلقة تحمل نقشاً هيروغليفياً دقيقاً، كلمات الفراعنة محفورة بصبر الأزل، تهمس بأسرار الحياة والموت والبعث.

عندما تمر الأصابع على تلك النقوش؛ تشعر بنبض التاريخ تحت جلدك، كأن الملوك القدماء يتحدثون إليك عبر آلاف السنين.

في قلب العقد، تتربع الماسة المركزية كملكة على عرشها. اثنا عشر قيراطاً من النقاء المطلق، من البياض الذي يعمي الأبصار ويسرق العقول ويحبس الأنفاس. ليست مجرد

حجر، بل قطعة من السماء سقطت على الأرض وتجمدت في شكل بلوري مثالي. عندما يسقط عليها الضوء، تنفجر إلى ألف لون وألف ضوء، ترسم على الجدران قوس قزح يتراقص مع كل حركة خفيفة. في عمقها، ترى ما لا نهاية، ترى الكون نفسه محبوساً في بضعة ملليمترات من الكربون المضغوط تحت وطأة الزمن والضغط.

حول الملكة، تصطف الوصيفات؛ أربع وعشرون ماسة؛ أصغر حجماً لكن ليسوا أقل جمالاً، كل واحدة منها تتلألأ بنور خاص، كنجوم تحيط بقمر مكتمل. إنها تتحدث مع بعضها البعض بلغة الضوء، ترسل إشارات براقة تتبادلها في حوار صامت لا يفهمه إلا من يملك عيناً ترى ما وراء المادة.

ثم يأتي الزمرد، ذلك الأخضر العميق الذي يذكرك بغابات لم تطأها قدم بشر، بأعماق محيطات لم يصلها ضوء الشمس، بسر الحياة نفسها. حجران من الزمرد؛ كل منهما يحمل في داخله عالماً من الخضرة النابضة. عندما تنظر إليهما؛ تشعر بالسلام يتسلل إلى روحك، كأن الطبيعة نفسها تعانقك، وتهمس في أذنك بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

الأخضر ليس لوناً واحداً؛ بل طيف كامل من الحياة، من الأخضر الفاتح الذي يشبه أوراق الربيع الأولى، إلى الأخضر الداكن الذي يشبه أعماق الغابات المطيرة.

اقترب «أمير» كالمسحور من العقد لتتساءل «مها»:

-انت هتعمل ايه؟

-هرجع الحاجة مكانها!

-وترجعها ليه، هو ده مش ورثنا.

توقف «أمير» لحظة، ثم نظر إلى العقد قائلًا:

-تاني يا «مها»، انتي عارفة ان ماما طلبت مني اتبرع بالعقد ده لليتامى.

تلتف «مها» حول «أمير» في محاولة نسائية لإقناعه بما يهوى قلبها المريض.

-حرام عليك تتبرع بحاجة قيمتها كدة لملجأ، مش هيعرفوا قيمته، ده كنز بيزيد مع الزمن، وهما هيبيعوه بتراب الفلوس.

-يعني عايزاني أكسر وصية ماما؟!

-لأ طبعًا، أنا قصدي نشتريه احنا ،ونتبرع بتمنه للغلابة واليتامى وكل الناس، واحنا بقى نقدر قيمته ونكسب مع زيادته، ده يعتبر عقد أثري!

لم يكن «أمير» في حالة تسمح له بالنقاش، لتستغل هي الموقف متابعة:

-انت شكلك تعبان مش وقت الكلام ده، أنا هدخل الحاجة الخزنة، ونتكلم بعدين يا حبيبي.

تركها «أمير» شاردًا، وخرج من الغرفة مترجلًا إلى أسفل ليجلس في غرفة مكتب أمه بعيدًا عن طمع زوجته؛ التي استغلت خروجه وعادت إلى هذا العقد الساحر، تلامسه بأناملها تشعر بتاريخ قديم، حتى غلبها شيطانها لتضع العقد حول عنقها، غير منبتهة إلى قوته التي استدعت الهانم نفسها!

توجهت «مها» إلى المرآة مبتسمة وقد سحرها بريق العقد الماسي، إلا أن ابتسامتها تحولت إلى علامات من الهلع حين رمقتها خلفها في المرآة!

إنها الهانم في ابهى صورها عادت كالملكات تسترجع حقها في غضب، سقطت «مها» من فورها من بعد ما شاهدت، ويسقط العقد من عنقها!

من أسفل سمع «أمير» صدمة السقوط وهو عند باب غرفة المكتب، فالتف ليعود أدراجه إلى أعلى، إلا أن شيئًا ما داخل غرفة المكتب اثار فضوله! تلك الانعكاسات الملونة الغريبة التي أضاءت المكان رغم العتمة، فنسي صوت الارتطام، ودخل إلى المكتب وأضاء غرفة المكتب، ليجد عُقد الهانم ينتظره هناك على المكتب أعلى وصيتها!

***

(١)

من مكتب «حلمي مهران»؛ كانت مديرة مكتبه «ماجي» الثلاثينية المثيرة متوترة من المسؤولية التي وضعها على كاهلها، هي دون غيرها، ولم يكن هناك من يساعدها إلا صاحبه الوحيد المقدم «هشام» الذي كان أكثر بروده منها:

-أنا مش عارف انتي متوترة كدة لية؟

قالها «هشام»؛ الشاب قوي البنية طويل القامة في أواخر الثلاثين والذي ارتدي قميصًا ضيقًا يستعرض به عضلاته، وهو يجلس أمامها، ولكنها لا تنتبه له ولا لمحاولاته التي لا تنتهي للإيقاع بها؛ شاغلة نفسها في طباعة الأوراق الخاصة بالتبرع وبكل ترتيباته التي لا تنتهي...

-انت بتهرج يا «هشام»، ده عقد بخمسين مليون جنيه، وأديك شايف سايب كل الورقيات عليا أنا.

-أنا مش فاهم كل الورق ده ليه أصلًا؟!

علق باستهتار لتجيبه هي بوضوح، وهي تضع في حقيبتها بعض أجهزة التخزين الإليكترونية.

-لأن أي ملجأ أيتام بيعتبر تحت مسؤولية الدولة نفسها، فدي تقدر تعتبرها بقت فلوس حكومة.

-عشان كدة جايب كل معارفنا الحفلة؟

قالها «هشام» ليتفهم أخيرا، وتتلاشي من رأسه علامات الدهشة والحيرة التي بدأت منذ معرفته بدعوة «حلمي مهران» لجميع معارفه لهذا الحفل الذي سيتسلم فيه العقد من «أمير».

-والله معرفش يا «هشام» علمي علمك، بس أنا برضة مستغربة «حلمي» مش اجتماعي، ومكنش فيه غيري أنا وانت إللي نعرف عن الملجأ ده أعتقد.

-هو من امتى حد بيفهم «حلمي مهران».

لم تكن «ماجي» تتقبل نقد «هشام» ل«حلمي مهران»، فهي تعتقدها غِيرة واضحة من «هشام» المتعلق بها:

-أنا هروح انده الساعي «حجاب» ييجي معانا يخدّم على الناس ويساعد «سلوى».

-من عنيا يا ست «ماجي».

صعقت «ماجي» و«هشام» من الصوت القادم فنظرا لمصدر الصوت ليجدا الساعي «حجاب» الستيني طويل القامة قد ظهر عند باب الغرفة فجأة، وهو من تحدث؛ فارتبك الاثنان للحظات قبل أن يتحدث هشام!

-أنت هنا من امتى يا «حجاب»!

تسائل «هشام» ليجيبه «حجاب» الذي ظهر ممسكًا صينية عليها فنجان قهوة وضعه أمامه.

-من أول ما طلبتوني يا «هشام» بيه، تقدروا تعتبروني جاهز، أنا هجيب الراديو الصغير بتاعي، وهبقى جاهز.

قالها وغادر؛ بينما ظل «هشام» يشعر بعدم الراحة.

-الراجل ده أنا عمري ما ارتحتله، معرفش «حلمي» معينه ليه!

علق «هشام» وهو يضع في حزامه رشاشًا برذاذ للحماية أخذه معه تحسبًا، إلى جانب سلاحه، قبل أن يرن هاتفه؛ فيجده خاله «فتحي» فاجابه من فوره مرحبًا، إلا أن نبرة الخال «فتحي» كانت حادة.

-أيوة يا «هشام» أنا باتصل ب«حلمي» مش بيرد، هو فين؟

من تراس بلكونه المعروف قالها خال «هشام» الستيني؛ وهو يرتدي بذلته البيضاء ويدخن غليونه العاجي بكثافة نظرًا للقلق الذي تملكه.

-ولا حاجة يا خال، النهاردة «حلمي» عنده مناسبة بس.

-في الملجأ!

وقف «هشام» مندهشًا من معرفة خاله، ولكنه ابتسم بسخرية بعد أن تذكر قدرات خاله الخارقة، والذي يعتبره الكثير من الناس من المرفوع عنهم الحجاب.

-هو انت كدة يا خال دايمًا بتشوف اللي محدش منا يعرفه.

-عشان كدة أنا عايز أجي معاك.

***

من منزل «وعد»؛ طليقة «حلمي مهران»؛ ظهرت في الصالون تتحدث إلى أبيها اللواء «فاروق» الذي كان لا يزال جالسًا بالبيجاما!

-يا بابا! انت مش عايز تيجي ليه بس، ده «حلمي» عازمك مخصوص، ومأكد عليك.

-وهو لو كان عايزني أجي كان بلغني قبليها بكام ساعة بس؟!.

من جانب والدها؛ جلست «وعد» صاحبة الملامح الحادة، فهي صهباء سمراء البشرة، ذات أنف مدبب وفم دقيق.

-يا بابا! واضح ان الموضوع كله جه بسرعة، وبعدين أنا ميصحش أروح لوحدي يعني.

أجابتها «وعد» التي كانت تحضر حقيبتها واضعة بها تلك العصا الصغيرة التي يتم فردها فتصبح أكبر عند الحاجة.

-ما انتي معاكي ابنك «وليد» ربنا يخليهولك.

قالها في لحظة دخول زوجها الحالي «فؤاد» وهو في أواخر الثلاثينات يمتلك جسدًا ممتلئًا يجعله أكبرَ من عمره؛ إذ اخترقت التجاعيد بشرة وجهه البيضاء، كما تساقط الكثير من شعر رأسه البني الذي كان مصدر جاذبيته بجانب عمله كفنان ينحت التحف الفنية.

-تروحي فين لوحدك مش فاهم!

قالها «فؤاد» الذي سمع جزءًا من الحديث، فوضع مفاتيحه ونظارته على المنضدة في غضب، فسكتت «وعد» وتدخل الأب محرجًا:

-«فؤاد» انت جيت امتى؟

-لسه راجع من عند الدكتور دلوقتي، بس ماجاوبتنيش، رايحة فين لوحدك؟

-ولا حاجة يا ابني هي رايحة تودي «وليد» لابوه.

-طب وهو «حلمي» ما يجيش ياخده من هنا ليه كالعادة!.

يزداد توتر «وعد»؛ فشعر «فؤاد» بشيء غريب.

-هو انتي مخبية إية بالظبط يا «وعد»؟

-ولا حاجة يا «فؤاد» يا حبيبي، بس «حلمي» عايز يودي «وليد» ملجأ أيتام، وأنا عايزة آخد ثواب معاهم.

-وتروحي الملجأ مع طليقك؟!

علق «فؤاد»، ثم نظر إلى اللواء «فاروق» متهكمًا:

-هي دي الأصوَل برضو يا عمي!

توتر الأب؛ ووقف يحاول شرح الأمر إلا أن «فؤاد» أكمل دون أن يعطيه فرصة.

-عمومًا أنا هاجي معاكوا، وطالما ملجأ آخد أنا كمان ثواب يا عمي، ولا أنت رأيك إية.

ازداد توتر الأب في لحظة خروج «وليد» ابن «حلمي مهران» يحمل أخته الصغيرة «إيمان»، فهرب «فاروق» من الموقف متجهًا نحو «وليد» ليحمل عنه «إيمان» قائلًا:

-والله عداك العيب يا ابني، وأنا بقى هخلي بالي من بنتكوا «إيمان» لحد ما ترجعوا.

قالها غامزًا إلى حفيده «وليد» ذي الذكاء الحاد والذي ابتسم بدوره معلقًا:

-طيب هنروح الملجأ بقى ولا إيه!

***

من منزل الصحفية «حنان»؛ ظهرت هي الأخرى في تردد من حضور الحفل، بينما كانت زميلتها «سالي» لا تزال تحاول إقناعها.

-مش معقولة يا «حنان» لعب العيال ده بجد، حسبي الله ونعم الوكيل!.

-وهي الحفلة هتقف عليا في إيه، ما تاخدي «تيم» وتروحي!.

قالتها «حنان» الثلاثينية التي زادها طلاقها إثارة، وهي بيضاء البشرة ذات شعر داكن.

-ويرضيكي تكسري بخاطر العاشق الولهان، ده يا حبة عيني مستني في العربية كأنه مستنيكي في الكوشة بالضبط!.

في سخرية قالتها دون أن تتجاوب «حنان»، حيث كانت «سالي» دومًا هي مصدر

الطاقة والبساطة وهي تمتلك جسدًا سمينًا يبطئ حركتها.

-شوفتي أهو بدأنا ب«تيم»، أومال لما نروح هناك ونقابل كل الناس.

-انتي خايفة من «وعد» صح؟

توترت «حنان»، ثم أجابت في كبرياء:

-أنا مابخافش من حد.

-عيني في عينك كدة، مش دي اللي خدت منك «فؤاد» حبيب القلب.

تظهر العصبية فجأة على «حنان».

-هي طول عمرها أنانية ما بتحبش غير نفسها وبس.

-طيب ما دام انتي عارفة ليه تخليها تكسرك، مش هي أخدت اللي هي عايزاه، خليها تشوفك بقى وانتي رافعة راسك لفوق.

تقولها في لحظة دخول رئيسهما «تيم» من الباب الموارب؛ يحمل مفاتيح سيارته وهاتفيه الاثنين.

-في إية يا بنات؛ أنا بقالي ساعة في العربية، ومحدش منكوا بيرد عليا!

يقولها قبل أن ينتبه إلى أناقة «حنان» المثيرة، فيبتلع ريقه، ويظل متسمرًا فتنظر إليه «حنان» مبتسمة وهي تقول:

-معلش كنت بجهز.

تتعجب «سالي» من تغير رأي «حنان»، فور ظهور اعجاب «تيم» لتقول:

-شوفي الولية، حقيقي حسبي الله ونعم الوكيل!

قالتها «سالي» وهي تأخذ معها تلك العلبة البلاستيكية التي كانت تضم كاميرا تصوير صغيرة محترفة، بينما كعادتها لم تأخذ «حنان» إلا عدة مكياجها.

***

في الملجأ

كانت «سلوى» مع الأطفال العشرين نزلاء المكان، وقد هيأتهم بأزهى صورة ممكنة من أجل استقبال «أمير» بهذا العقد الاستثنائي، وقبل وصول الرجل بلحظات؛ استقبلت مكالمة هاتفية مزعجة جعلتها تصيح:

-أيوة يا خواجة، اللي أنت بتطلبة مني ده صعب جدًا، «حلمي» جايب ناس كتير جدًا، والملجأ مليان كاميرات في كل حته.

قالتها وهي ترمق أحد الكاميرات الداخلية بالمكان؛ قبل أن تجد من أمامها الدكتور «صلاح» قد وصل من على باب الملجأ في ريبة غريبة، وهو ستيني أسمر الوجهة له حجابان كثيفان وشارب كبير، وشعر أبيض، وهو يفتقر دائمًا للهندام، ورغم أنه يمتلك طرفًا صناعيًّا بديلًا لقدمه اليمنى؛ إلا أنه يسير بطلاقة متكئًا في بعض الأحيان على عصاه، يظل ينظر يُمنةً ويُسرةً وكأن هناك من يراقبه، فأنهت «سلوى» الاتصال وتوجهت إليه:

-مساء الخير!

ارتبك الدكتور «صلاح».

-أنا؟!

-أيوة يا فندم، أقدر أساعدك ازاي؟!

-أنا الدكتور «صلاح» والله العظيم.

-صادق يا فندم، أقدر أساعدك أزاي؟!

كررت «سلوى» سؤالها، وقد بدأت تشك في ارتباك الرجل الذي بدأ يبرر تصرفاته.

-معلش أصلي بقالي كتير ما بخرجش من المستشفى.

-حضرتك عيان؟

-لأ...لأ، معلش أنا معرفتكيش بنفس؛ أنا الدكتور «صلاح»، دكتور «حلمي مهران»، مش ده الملجأ بتاعه برضو؟

ابتسمت «سلوى» وهي تجيب.

-حاجة زي كدة، أهلا بيك في ملجأ مفتاح الحياة.

قالتها مشيرة إلى لوجو الملجأ في فخر.

-أصل أنا قولت دي الطريقة الوحيدة اللي هقابله بيها، ما هو مهمل ومش بيرضى

يبجي المستشفى خالص.

لم تُجب «سلوى»، فمسح عرقه وتسائل:

-أومال هو «حلمي مهران» فين بقى، مش معقول أعمل المجهود ده كله وبرضه ما اشوفهوش!

-هو طبعه ولا هيشتريه، محدش منا عارف هو فين من الصبح، ولا بيرد على حد، رغم إن اليوم يومه.

يظهر الضيق على الدكتور «صلاح» الذي دخل عالم مفتاح الحياة للتوِّ كالمسحور.

***

من عند طبيبه النفسي «علي»؛ كان «حلمي مهران» جالسًا على مقعد هزاز ظل يتحرك عليه بطريقة سريعة متوترة، بينما ظل الرجل يرمقه مندهشًا.

-يعني انت سايب الحفلة كلها، وقاعد عندي هنا في العيادة!

لم يُجب «حلمي مهران» وظل يصفر بشفتيه وهو يكمل حركة، وقد طال شعر رأسه ولحيته التي ظل يهندمها بيده، إلا أن ما زاد من توتر الدكتور هي حركة غريبة ورعشة في يد «حلمي مهران»!

-يا «حلمي» زمان الناس كلها مستنياك!

-ما يستنوني، أنا أستاهل.

قالها وهو يمرر يده على ندبة جبهته التي تميزها؛ بينما أمسك الدكتور «علي» بقناع وجهه الذي يخفي تشوهه، ثم قال:

-بلاش غرور، وشوف الناس.

-أولاً مفيش سبب يخليني أبطل غرور، أنا واحد عارف قيمة نفسه، مش غلطتي إن دي بقت حاجة نادرة دلوقتي.

بكبرياء قالها؛ وهو ينظر أعلى بعينيه الخضراوين الواسعتين.

-طيب ممكن تفهمني انت سايب الناس وجايلي ليه؟

توقف «حلمي مهران» عن الاهتزاز، ونظر إلى الرجل نظرة مقلقة:

-عشان انت اللي أقنعتني أعمل المناسبة دي، وأنا مش مقتنع، لدرجة إن بفكر أقولك روح أنت، وأنا هقابل العيانين مكانك.

توقف «علي»، والتف ليجلس إلى جانب «حلمي مهران».

-أولاً أشكرك إنك قلت أقنعتك، يعني ما أرغمتكش، انت راجل عاقل وفاهم، وزي ما انت قلت، مفيش زيك كتير، فممكن بقى تشيل مسؤوليتك اللي انت اخترتها بنفسك، ما قررت تتبرع بكل فلوسك للملجأ ده زمان.

-خلاص فلوسي مابقتش مهمة، الملجأ النهاردة جايله عُقد بخمسين مليون جنيه!

في غيرةٍ واضحة قالها «حلمي مهران»، وهو يقف متجهًا إلى النافذة يرمق الطريق.

فوقف «علي» خلفه.

-أنت غيران!

هرب «حلمي مهران» من السؤال؛ ليكرر الطبيب سؤاله، حتى استسلم «حلمي مهران» مجيبًا في شرود.

-تخيل كدة تروح تجيب لأكتر حد بتحبه هدية بكل فلوسك عشان تفرحه، بس قبل ما الهدية توصله، يكسب فجأة جايزة بهدية أقيم كتير من هديتك.

قالها؛ ثم التفت الى الطبيب متسائلًا:

-ساعتها بقى هتحس بإية؟

-ما هو عشان كدة طلبت منك تعمل الحفلة دي، حبك لليتامى دول لازم يخدمهم، وانت لازم تفتحلهم الباب، انت عندك أسرار كتير يا «حلمي».

جحظت عينا «حلمي مهران» للتو؛ في إشارة مخيفة إلى هذا القاتل الذي يخفيه بين جعبته، ليواجة من يستحق بالموت، إلا أن الدكتور «علي» لم يكن يقصد هذا الوجه الآخر ل«حلمي مهران» والمشهور في الشارع ب«ابن آوى»!

-مش ده قصدي؛ بس أنت لازم تكشف جزء من حياتك، وتشاركه مع اللي حواليك، كفاية عُزلة، اليتامى دول مش سر، دول فخر، إنت لازم تبقى سعيد باللي وصلتله معاهم السنين اللي فاتت، بس العيال بتكبر، وسبحان الله، ربنا بيبعتلهم رزقهم، إنت كنت مجرد وسيلة، وزي ما ربنا سخرك، سخَّر غيرك، النهاردة وزي ما اتفقنا؛ إنت

لازم تختار حد يساعدك على المسؤولية دي، دول خمسين مليون يا «حلمي»!

***

من الملجأ كان الجميع قد وصل، ومن بينهم «أمير» الذي كان ممسكًا بحقيبة جلدية وضع فيها العقد، وإلى جواره زوجته التي ترمق الجميع في استحقار؛ بينما كانت «ماجي» تحاول استقبال الجميع بشكل مميز؛ بمساعدة «حجاب» الذي كان يوزع المشروبات على الجميع، فلقد كان عددهم الآن أربعة عشر شخص؛ بخلاف الأطفال العشرين؛ جميعهم في انتظار وصول «حلمي مهران»!

يجلسون في صالة الاستقبال الرئيسية التي تلي المدخل مباشرة، والمنبثق منها غرفة «سلوى» مديرة الملجأ، والتي بها الحاسوب المتحكم بأغلب أنظمة الأمان، ومن بعد صالة الاستقبال تلك هناك ردهة طويلة بها بعض الغرف الإدارية من الأرشيف وخلافه، ومن جوار تلك الردهة يقع السلم الرئيسي الذي يصعد إلى الطابق الأول فوق الأرضي؛ والذي يضم غرف النوم للأطفال ومن ثم السلم المؤدي للطابق الثاني والأخير والذي كان يضم غرف العاملين، ومنه سلم خدمي يؤدي لسطح البناية.

-هو مش مفروض كنا جبنا بوليس يحرس المكان مع التهمة دي!

قالتها «ماجي» قبل أن تنتبه أنها تتحدث إلى المقدم «هشام» الذي أشار إلى سلاحه الموضوع في خصره، لتعتذر منه وتهرب من ذلتها قائلة:

-هو معقول «حلمي» يعمل فيا كدة، يتأخر ويسيبني مع نسوانه دول!

قالتها «ماجي» مشيرة إلى «وعد» و«حنان» واللتان قد بدأتا بعض المناوشات.

-معلش يا حبيبتي، أنا معاكي ماتخافيش!.

علق «هشام» بأسلوبه المعتاد تقربًا منها، ولكنها تركته لتكمل إجراءاتها، فبدأ يتحرك يرمق المكان من صالة الاستقبال، فوجد خاله «فتحي» في صالة الطعام؛ وهي جناح كبير ملاصق لصالة الاستقبال، فدخلها وهو يتفقدها، ولقد كانت تضم هذا السلم المؤدي للبدروم وبه معمل الأطفال، وبعض المخازن والمطبخ الرئيسي المؤدي إلى الحديقة الخلفية، حيث كان كل الملجأ محاطًا بحدائق تفصل بينه وبين السور الخارجي ذي البوابة الواحدة الرئيسية!

-هي لسه مش مديالك قلبها؟

قالها الخال «فتحي» الشارد من النافذة؛ فاندهش «هشام» من معرفته بما حدث من «ماجي».

-انت بتعرف كل حاجة كدة ازاي يا خال؟

-كل شيء واضح، وبعدين أنا شوفتك في انعكاس الإزاز.

مشيرًا إلى زجاج النافذة؛ قالها دون أن يصدقه «هشام» بالطبع، ولكنه تجاوب.

-أديك شايف يًا خالي، بتعاملني ازاي حتى واحنا لوحدنا.

-بس احنا مش لوحدنا يا «هشام» يا ابني.

قالها «فتحي» وهو يسبح بسبحته العاجية قبل أن يلتف إلى صالة الاستقبال، فتسمر حيث كان هناك من دخل من المدخل للتو دون أن تسجل دخوله الكاميرات، خطوة تلو الأخرى تتقدم، مستمتعة بهذا الجميع الذي تم تنسيقه على شرفها، فلقد كانت هي الهانم تتوسط الجميع بابتسامة ملائكية ردها إليها الأطفال الذين اعتادوا كرمها، لتصعد الهانم السلم الخشبي للملجأ إلى أعلى؛ لتنتظر اللحظة المناسبة للظهور!

***

(٢)

من مكتب «سلوى»؛ جلس «حلمي مهران» أمام «أمير» وزوجته المضطربة؛ بينما من على أريكة خلفية جلس «هشام» يراقب المشهد؛ في حين كانت «ماجي» مشغولة في إنهاء الإجراءات:

-بس هو انت ليه مفكرتش تبيع العقد وتتبرع بتمنه؟

تساءل «حلمي مهران»؛ فهمَّت «مها» بالإجابة إلا أنها عادت بظهرها على المقعد صامته، فبدأ «أمير» يحرك قدمه بتوتر:

-ولا حاجة وصية ماما، تحب تطلع عليها؟

قالها بصدق يخفي الكثير؛ وهو يخرج الوصية من جيب بذلته، فلم يهتم «حلمي مهران» الذي كان يبحث عن الحقيقة المخفية.

-مش ده سؤالي؟!

-أومال حضرتك تقصد إية؟

تساءلت «مها» مبتلعة ريقها.

-أنا باسأل انتوا.ليه عايزين تنفذوا الوصية؟

-تقصد أية أنا ماسمحلكش!!!

قالها «أمير» وهو يقف؛ فأعاد «حلمي مهران» ظهره بهدوء:

-خلصت التمثلية بتاعتك! برضة ماردتش على سؤالي، بس هو عمومًا الإجابة مش عندك، الإجابة عند المدام، صح ولا إية؟

-عشان ملبوس.

قالتها «مها» ناهية الجدل، فيستسلم «أمير» ويجلس بضعف اندهش منه «هشام» الذي كان متعاطفًا معه.

-العقد ده الحاجة الوحيدة اللي مينفعش حد يطمع فيه.

-يعني إيه؟

تساءلت «ماجي» في فضول.

-مش مهم، المهم انكوا تسمعوا كلام الهانم، اعتبروها معاكوا هنا، دي وصيتها، وده دورنا، دلوقتي بقى يا ريت تخلصوا الإجراءات دي، احنا محتاجين نمشي، أنا محتاجة حياتي ترجع طبيعية تاني.

قالتها «مها» مشفقة، بعد أن توتر المكان وصار عقد الهانم محل جدل أوسع، توقف «هشام» ليساعد «ماجي» في إنهاء الإجراءات؛ بينما ظل «حلمي مهران» يرمق الحقيبة التي بها العقد، وفي ذهنه الكثير من الأسئلة.

***

من الخارج...

كان أغلب الحضور لا يزالون في حيرة من أمرهم؛ وصارت بينهم الإشاعات والتكهنات حول ماهية الحفل؛ فأغلب الحاضرين حتى تلك اللحظة لا يعلمون السبب الحقيقي للحفل، بينما أطلق البعض تصريحات أن الملجأ نفسه هو الحدث.

-يعني «حلمي» هو صاحب الملجأ ده؟

تساءل «فؤاد» في غيرة واضحة؛ فتدخل «وليد» معلقًا.

-لأ، بس بابا مسؤول عنه، واحنا كنا بنيجي كتير عشان صحابي اللي هنا؟

-صحابك!

علقت «وعد» ثم تابعت:

-يعني أنت كنت بتيجي هنا مع باباك من غير ما تقولي؟

سكت «وليد» قبل أن ينقذه فتح باب غرفة «سلوى»، حيث خرج «حلمي مهران» مع «سلوى» والبقية، وقد استطاع رسم ابتسامة نصر على شفاهه، عكس البقية.

-أخرناكوا معلش.

-هو أنت مش هتفهمنا في إية، وإية المكان ده كله؟

تساءلت «حنان».

-بالراحة يا حبيبتي، ما الرجل بيتكلم أهو!.

علقت «وعد» بطريقة غير معهودة عليها، أحرجت زوجها، ليكمل «حلمي مهران»

حديثه غير منتبه لرعشة يده التي لاحظتها «ماجي» وأزعجت طبيبه الدكتور «صلاح»!

-أولاً احنا محتاجينكوا عشان تبقوا شهود رسميين لنقل ملكية عقد الهانم من المتبرع «أمير» لملجأ مفتاح الحياة.

-عقد الهانم!

تسائل «تيم»، ليبتسم «حلمي مهران» وهو يفتح الحقيبة التي ظهر من داخلها العقد الذي خطف الأنظار في لحظة من بريقه الغريب الخاطف للقلوب.

-العقد ده قيمته الأولية خمسين مليون جنيه.

-إذا ماكنش أكتر.

علق «أمير».

-وأستاذ «أمير» مشكورًا؛ تبرع بيه للملجأ بناء على وصية المرحومة والدته.

-«رحمة هانم».

أجابت «سالي» فانهدش الجميع، فلاحظت نظراتهم فأوضحت.

-العقد ده مشهور زي «رحمة» هانم الله يرحمها، مالكوا بتبصولي كدة، أنا صحفية برضة، حسبي الله!.

-طيب أنا حقيقي كنت مبسوط إني معاكوا، بس أنا ومراتي مضطرين نستأذن، ونسيبكوا بقى تحتفلوا سوا، بس خلوا بالكوا من العقد.

-ماتخافوش الملجأ ده، أنا مأمنه بنفسي، تقدر تعتبره خزنة كبيرة.

-صدقني بلاش الثقة دي.

قالها «أمير»؛ وهو يهم بالخروج؛ فنظرت «مها» إلى «سلوى» وقالت:

-اوعي تفكري تلبسيه.

قالتها بصيغة دعابة غير مفهومة، ثم أمسكت بيد زوجها وغادرا، فتوجه «حلمي مهران» إلى «هشام» بالحديث.

-معلش يا «هشام» قفل المكان كويس، لغاية ما نخلص.

توجة «هشام» من فوره لوصد الأبواب مع توتر الحضور.

-لا حول ولا قوة إلا بالله!.

قالها الخال «فتحي»؛ وهو ينظر إلى السلم المتجة إلى أعلى.

-وهو الملجأ ده بتاعك يا «حلمي»؟

أغلق «حلمي مهران» الحقيبة وأعطاها إلى «سلوى»، ثم أخذ مقعدًا ووقف عليه ليخطب في الجميع.

-أنا عارف إنيْ يمكن قليل الكلام، بس في صديق أقنعني إني اشاركوا حكاية الملجأ ده، مش عشاني... لا، عشان الأولاد دول.

قالها مشيرًا إلى الأطفال العشرين الذين توسطوا الحضور.

-أنا كنت محظوظ بوجودهم في حياتي الفترة اللي فاتت، بس مش عايز أكون أناني أكتر من كده، جيه الوقت إنكوا تشوفوا مكان زي ده ممكن يعمل فينا إيه، يمكن زمان كانوا محتاجيني، بس دلوقتي خلاص.

مشيرًا إلى العقد قالها، فابتسمت «وعد» معلقة:

-لو العشرين طفل دول مش محتاجينك، برا في الشارع فيه أطفال أكتر بكتير في أمَسّ الحاجة للي زيك.

لم تنتبه «وعد» إلى قسوة كلماتها الجارحة ل«فؤاد» الذي تدخل.

-الأطفال دي مش محتاجة بس فلوس، محتاجين حنية ودعم.

قالها وهو يضع يده على «وليد» ابن «حلمي مهران» في كناية عن إهماله له؛ إلا أن «وليد» كان ذكيًّا؛ فتحرك بعيدًا ليلاعب أصدقائه.

-عشان كدة أنا جمعتكوا النهاردة، الفلوس دي عايزة حد مسؤول عليها، والمكان نفسه محتاج مساعدة، وبدل ما الفلوس دي تساعد 20 طفل؛ جه الوقت إن الملجأ ده يبقى مؤسسة كبيرة تساعد مئات أو يمكن أكتر من الأطفال المحتاجين.

-احنا كلنا معاكْ يا ريس.

قالتها «سالي»، ليرمقها «تيم» باشمئزاز.

-ما تفك كدة وبلاش تبقى قطاع أرزاق يا أخي.

-أنا هسيبكوا مع الأطفال تتعرفوا عليهم وعلى المكان، وبعد كدة هنتكلم سوا في التفاصيل، قالها مشيرًا إلى غرفة الطعام التي هُيئَت كصالة اجتماعات....دلوقتي بقي يا «سلوى» ممكن تطلعي العقد الخزنة.

-استني أنا هطلع معاكي.

قالها «هشام» لتتوتر «سلوى»؛ فعلق «حلمي مهران»

-ماتخافش يا «هشام»، زي ما قلتلك أنا مأسس نظام الأمان في الملجأ بنفسي، مفيش مخلوق يقدر يخش أو يخرج من غير ما اعرف، والدور اللي فوق ده معزول تمامًا.

-يا سيدي زيادة الخير خيرين!.

قالها «هشام» مشيرًا إلى «سلوى»؛ فوافقه «حلمي مهران»، فتحركت «سلوى» على مضدد قائلة:

-حاضر هخش أجيب المفتاح ونطلع.

قالتها لتعود إلى غرفتها تاركين الضيوف الذين بدؤا الاحتكاك بالأطفال والتعرف على المكان.

-«حلمي» احنا محتاجين نتكلم.

علق الدكتور «صلاح»؛ إلا أن «حلمي مهران» كان مشغولًا بقدوم الخال «فتحي» المفاجئ، فاعتذر من طبيبه وتوجه إلى الرجل، تاركًا الدكتور «صلاح» الذي توجة إلى

«ماجي» طالبًا نفس الأمر، من ناحية أخرى كان ثلاثي الصحافة متوقفين سويًا لتبدأ «حنان» الحديث.

-«حلمي مهران» ده زي المحيط مهما عرفناه بيطلع مخبي أكتر.

-حقيقي فعلًا عندك حق، أنا جعانة فعلًا وممكن أكل المحيط.

علقت «سالي» قبل أن تلاحظ نظراتهما.

-في إية هي دي مش حفلة!

على بعد عدة خطوات عاتبت «وعد» زوجها عن حديثه.

-مش معقولة تلميحاتك دي يا «فؤاد»!

-تلميحاتي أنا برضة! انتي مش شايفة كلامك، وبعدين لو طليقك عاجبك أوي كدة، سيبتيه واتجوزتيني ليه!

ذهلت «وعد» من حديث زوجها الصادم، وكادت تدمع.

-هو «وليد» فين؟ أنا عايزاه دلوقتي.

قالتها وهي تهرب من الموقف، فأتبعها «فؤاد»

-«وعد» أنا آسفْ مقصدتش!.

التفتت «وعد» بسرعة وهي تخفي دموعها فاصطدمت ب«حنان»، وقبل أن تعلق الأخيرة، هاجمتها «وعد» قائلة:

-ما تفتحي انتي كمان، ولا لسه عامية زي ما انتي!

صدمت «حنان» من حديث «وعد»؛ التي قالت جملتها وتحركت بحثًا عن «وليد» تاركة «حنان» لقسوة حديثها وهي متوقفة بين «تيم» و«فؤاد»!

***

بعد دقائق من البحث عن مفتاح الخزينة، صعدت «سلوى» يتبعها «هشام»، كان الدور العلوي أبرد من الطابق أسفله، وإضاءته خافتة كأنها تتنفس بصعوبة.

توقفا لحظة:

-سمعت؟

همست «سلوى»

مدّ «هشام» يده تلقائيًا نحو سلاحه.

-يا أستاذ هشام... ده ملجأ، يمكن واحد من العيال طالع يلعب.

استسلم «هشام»، وأعاد السلاح إلى مكانه؛ واكملا الصعود حتى وصلا إلى غرفة «أمنية» التي وضع فيها «حلمي مهران» الخزينة، فاندهشت «سلوى» من بابها المفتوح، ولكنها هُمت بالدخول والتفت من عند الباب قائلة:

-معلش خليك هنا يا أستاذ «هشام» أنا دقيقتين وطالعة.

تردد «هشام» وهو يختلس بعينه نظرة إلى الداخل، ثم عاد وتوقف في الردهة ذات الإضاءة الخافتة، لا يزال متوترًا حيث كان يسمع صوت خطوات ما تقترب؛ بينما أغلقت «سلوى» الغرفة خلفها، ثم توجهت للخزينة وادخلت الرقم السري الذي أعده «حلمي مهران» بتلقائية على هذا التاريخ المميز الذي أعاد إليه حياته بعد أن أخذ شر ما فيها «3110»، فتحت الخزينة وبدأت هي تفتح الحقيبة!

فور أن رأت العقد، شعرت بهوس أنثوي، فلم تستطع ان تسيطر على نفسها، فتوقفت لحظة وتوجهت إلى المرآة وهمت لتضع العقد على رقبتها في لحظة بدأ فيها صوت الحضور من أسفل في التصاعد، إلا أن سحر العقد صم أذنيها عن سماع هذا الهرج والمرج القادم من أسفل، بينما من خارج الغرفة زاد توتر «هشام» من صوت حركة الأقدام النسائية الواضحة، حتى أنه كاد يشعر بظهور لسيدة من أمامه فأخرج جهاز الرذاذ.

من الداخل وفور أن لامس العقد رقبة «سلوى» حتى انكشف الستار فجأة عن الهانم نفسها من خلفها، تقف لها متوعدة وهي في كامل تأنقها، لتصرخ «سلوى» التي عرفتها من فورها في نفس اللحظة التي انقطعت فيها الكهرباء عن كامل المكان، ويسمع الجميع صوت تلك الضربات المختلفة، وتقع «سلوى» أرضًا، ويختفي العقد عن الأنظار!

***

(٣)

من أحد الغرف العلوية بالملجا والتي كانت مخصصة لتخزين الألعاب والهدايا الجديدة، وبها سرير واحد لأحد العاملين استفاق «هشام» بصعوبة وهو يتأمل الغرفة من حوله، ولكنه شعر بألم شديد جعله يمسك رأسه التي ضرب عليها يحاول استعادة وعية ناظرًا إلى تلك الغرفة التي بها عدة هدايا وكراتين مغلفة، وكان هو مستلقيًا على السرير الوحيد، وإلى جواره الدكتور «صلاح» يتابعه بعناية:

-بالراحة ماتقومش فجأة.

قالها «صلاح» ممسكًا «هشام» الذي بدأ يتوتر.

-أنا فين؟

-انت هنا في الملجأ.

رمق «هشام» المكان ليجد «حلمي مهران» ينظر عند النافذة مُعطيًا إياه ظهره!

-هو حصل إيه؟

-ده اللي المفروض انت تقوله لنا.

قالها «حلمي مهران» دون أن يلتفت، فبدأ «هشام» تذكر آخر ما رآه، وقد كانت سيدة تهرع في الردهة قبل لحظات من أن يُضرب على رأسه.

-أنا فيه حد ضربني على راسي، كمان «السلف ديفينس» جه في عيني.

التف «حلمي مهران»، وبدأ يقترب من «هشام».

-العقد فين؟

تساءل «هشام»؛ بينما وقف «صلاح» معطيًا المجال إلى «حلمي مهران» ليجلس.

-وهو انت عرفت ازاي ان العقد اتسرق؟

توتر «هشام» من سؤال «حلمي مهران».

-في إيه يا «حلمي» انت نسيت أنا مين ولا إيه؟

-وهو انت ليه أخدتها على نفسك كدة، أنا مقولتش حاجة.

-لأ نظراتك باينة، عشان كدة بفكرك إن ده شغلي قبل ما يبقى شغلك، أكيد اللي ضربني كان عايز يسرق.

ابتسم «حلمي مهران».

-برافو عليك، دايمًا بتعمل منك!.

حاول «هشام» الوقوف فمنعه «صلاح».

-قلتلك ماتقومش فجأة، هو مفيش حد منكوا بيسمع الكلام ليه؟

لم يستطع «صلاح» منع «هشام» الذي بدأ عمله من فوره.

-«سلوى» فين؟ أنا لمحت ست قبل ما اتضرب، مش بعيد تكون هي.

-لأ!

أجابه «حلمي مهران» بوضوح؛ فتعجب «هشام».

-هو إية اللي لأ.

-مش «سلوى».

قالها «حلمي مهران» وهو ينظر إلى «صلاح» الذي التف هروبًا من النقاش.

-الدكتور «صلاح» لحقك انت بس، لكن للأسف «سلوى» اتقتلت....

***

من المطبخ في البدروم كان «حجاب» أمام البراد يغلي المياه؛ وهو يرمق البراد، حتى ظهر من خلفه «فتحي».

-محتاج حاجة يا فندم!

تساءل «حجاب» دون أن يلتف، وهو يضع سماعة الراديو في أذنيه، فاقترب «فتحي» من الرجل.

-كنت جاي أشوفك فين، أصل انت الوحيد اللي ماظهرتش.

-وهو أنا اللي زيي الناس بتشوفه برضه يا سعادة البيه.

-بلاش بيه دي، أنا خالك «فتحي».

-عارفك يا خال، تشرب إيه؟

اقترب «فتحي» من «حجاب»؛ ليحاول مساعدته.

-أنا مش عايز حاجة، أنا جاي أساعدك، انت بتعمل إيه.

-بعمل شاي....شاي للهانم!!

***

من أعلى أكمل «حلمي مهران» شرح ما حدث إلى «هشام» الذي كانت إصابته خفيفة إلى حد كبير نظرًا لصلابته.

-هو ده إللي حصل، طلعت لوحدي أول ما الكهرباء رجعت، كنت متأكد إن فيه حاجة حصلت، لاقيتك سايح في دمك، وجوا الأوضة «سلوى» مقتولة، والعقد مختفي.

-وهي فين؟

أشار «حلمي مهران» إلى غرفة «أمنية».

-بعدها نزلت ناديت الدكتور «صلاح» لحقك لكن للأسف.

-البوليس جه؟

-ما هو ده إللي أنا عايزك فيه.

توتر «هشام» من طريقة «حلمي مهران».

-استأذنك انزل انت يا دكتور لغاية ما أفهّم المقدم «هشام» اللي اتفقنا عليه.

***

في الأسفل كان الوضع لا يقل سوءًا عن الأعلى؛ فالجميع يغزوهم القلق والتوتر، والذي لم تستطع أعينهم أن تخفيه ولا تظهره، ودارت الهمهمات بين الجميع عما يحدث، الأمر الذي دفع «ماجي» أن تتحدث في محاولة للسيطرة على الأمر، وعدم تفشي الفوضي أكثر من هذا؛ لحين عودة «حلمي مهران».

-هو انتي مسؤولة عننا يعني، احنا من حقنا نفهم.

علقت «وعد» بعدائية؛ فاجابتها «ماجي» بهدوء:

-لو سمحتي، الموقف مش محتاج عصبية، دقايق وهنفهم، وأنا بفكركوا تهدوا مش عشانكوا، بس عشان الولاد اللي وسطينا دول، يا ريت نبقى كلنا على قد المسؤولية، وطبعًا ندي أولوية للعيال عن فضول شغلنا.

قالتها وهي تنظر إلى «حنان»، التي دافعت من فورها على نفسها.

-أكيد يعني احنا بني آدمين قبل ما نبقى صحفيين!

تجاهلتها «ماجي» عمدًا؛ ونظرت إلى «تيم» الذي ظهر عليه إصابة في رأسه، فاقتربت منه مندهشة قبل أن تلاحظ نفس الوضع على رأس «فؤاد».

-هو انتوا حصلكوا إيه؟

قبل أن يجيب أي منهما؛ ظهر الدكتور «صلاح» الذي ترجل للتو، فنظر إليهما.

-هو انتوا كمان اتضربتوا.

سكتا عن الكلام؛ ليبدأ الدكتور «صلاح» إسعافهما؛ لحين إنهاء «حلمي مهران» حديثه إلى «هشام».

***

تفهم «هشام» حديث «حلمي مهران» بعد أن استوعب الموقف.

-انت شايف إنك محتاج قد إيه؟

-تلات ساعات...تلات ساعات وهعرف مين الحرامي والقاتل.

-أنا معاك، بس انت فاهم إن المرة دي إللي سرق هيبقى واحد مننا.

مشيرًا إلى واقع مر؛ قالها «هشام» فلقد صار هذا التحقيق الآن مختلفًا؛ ف«حلمي مهران» يعرف كل المتهمين، ينتظر فقط البحث عن دوافعهم.

-عشان كدة قلتلك أقل من تلات ساعات وهفهم، كل المطلوب محدش يدخل ولا يخرج.

-ولو معرفتش يا «حلمي»؟

تنهد «حلمي مهران» الذي اخترق التوتر قلبه البارد.

-يبقى كل اللي بنيته اتهد.

صادقًا قالها؛ فكما شرح لصديقه أن الملجأ قد يكون مهددًا إذا أقرت حادثة السرقة ولم يستطيع استعادة العقد، وقد يكون هذا نهاية درامية للملجأ الذي طالما دعمه «حلمي مهران»، خلاف المسؤولية الواقعة عليه شخصيًا؛ والتي ستلاحق سمعته.

-زي ما قلتلك، مش عشاني يا «هشام»؛ عشان الملجأ.

أومأ «هشام» رأسه، وهو ينظر إلى الساعة.

-خلاص بلاش تضييع وقت، هما تلات ساعات.

قالها «هشام» وتوجه لفتح الباب؛ فتقدمه «حلمي مهران» وخرجا قبل أن ينظر إلى غرفة «أمنية»؛ حيث كان جسد «سلوى» هناك على سريرها، رمقها «حلمي مهران» ثم أغلق باب الغرفة، ثم ترجلا على السلم نزولًا إلى أسفل وصولًا إلى صالة الاستقبال التي اجتمع فيها أغلب البقية، فبدأ «هشام» الحديث من فوره في جرأة معهودة عليه.

-طيب أغلبكم يعرف أنا مين، ودلوقتي أنا هتكلم بصورة رسمية؛ اللي بتفرضه علي وظيفتي في الظروف دي، انتوا هتبقوا في ضيافتنا التلات ساعات الجايين.

- هو إيه اللي حصل؟ ما تفهمونا هو احنا معيز!

تساءلت «سالي» بسوقيتها المعهودة.

-لو سمحتوا أنا هاشرح كل حاجة في وقتها دلوقتي عشان خاطر الأطفال دي ماتخافش أكتر من كدة.

قاطع «حلمي مهران» صديقه.

-يا ريتكم جميعًا تثقوا فيا شوية، أنا اسمي «حلمي مهران».

في فخر ابتسم له ابنه «وليد»؛ فبادله الأب غمزة غرور، ووجه له الكلام.

-«وليد» عايزك يا حبيبي تاخد أصحابك كلهم ،وتطلع معاهم فوق في الدور التاني.

قالها ثم شدد على كلامه مؤكدًا.

-الدور التاني بس يا «وليد».

استمع «وليد» إلى أمر والده بمسؤولية، وبدأ ينظم حركة الأطفال إلى أعلى وسط توتر البقية؛ قبل أن يتدخل «هشام» مكملًا:

- المطلوب منكوا تسلموا أستاذة «ماجي» تليفوناتكوا لغاية ما «حلمي» يشرحلكوا الموقف بالضبط.

اندهشت «ماجي»، ولكنها توجهت إلى مكتب «سلوى» بتلقائية، فهي تحفظ الملجأ عن ظهر قلب وأخذت صندوقًا بلاستيكيًا، وعادت لتجمع التليفونات؛ بينما أسرع كل منهم بمراجعة هاتفه قبل أن يعطيها إياه، ثم بدأ «حلمي مهران» الحديث فور خلو المكان من الأطفال.

-طيب بمنتهى الوضوح، عقد الهانم اتسرق.

علت صيحات التوتر في الكلام، بنفس اللحظة التي ظهر فيها «فتحي» صاعدًا

مع «حجاب» الممسك بكوب الشاي، توجة به إلى منضدة خالية لاحظها «حلمي مهران»، قبل أن يبدأ عد الأشخاص البالغين ليتأكد من اكتمالهم.

-زي ما قلت عقد الهانم اتسرق، وأغلب الظن اللي سرقه حدّ مننا.

مع علو الأصوات والتهكم؛ أضاف «حلمي مهران»:

-أنا مشغل أجهزة إنذار معقدة في الملجأ، فصعب جدًا حد يخش أو يخرج من غير ما اعرف، فلغاية ما اتأكد، اللي سرق العقد واحد مننا.

-وهو انت كل اللي همك العقد، أنا آسفة أنا عايزة أروح.

أضافت «سالي» قبل أن تسلم هاتفها، فاقترب منها «هشام» ممسكًا بهاتفها وهو يقول:

-لأ «حلمي» عايز يعرف مين اللي قتل «سلوى»!!

توقف الجميع عن الحديث فجأة؛ بينما بدأ «حلمي مهران» المرور بنظراته على وجوه الجميع.

-عشان كدة أنا قلت أنا هنا دلوقتي بصورة رسمية لغاية ما البوليس يوصل.

-وقبل ما البوليس يوصل أنا هعرف مين اللي قتل «سلوى»، وسرق العقد.

***

قبل الحادث

تحركت «سلوى» على مضدٍ قائلة:

-حاضر هخش اجيب المفتاح ونطلع.

قالتها لتعود إلى غرفتها تاركين الضيوف الذين بدؤوا الاحتكاك بالأطفال، والتعرف على المكان.

-«حلمي» احنا محتاجين نتكلم.

علق الدكتور «صلاح»؛ إلا أن «حلمي مهران» كان مشغولًا بقدوم الخال «فتحي» المفاجئ، فاعتذر من طبيبه، وتوجه إلى الرجل.

-منور يا خال «فتحي»، بس بعد إذنك عندي سؤال:

-يا ريت يبقى عندي الجواب!.

قالها «فتحي» بتلقائية، فابتعد «حلمي مهران» عن الجميع وتساءل:

-انت طالما جيت هنا تبقى شايف حاجة، ممكن تقولي انت شايف إيه؟

ابتسم «فتحي»، وأجاب من فوره.

-أنا شوفت الهانم!

-هانم مين بس؟

-صاحبة العُقد يا ابني.

كان «حلمي مهران» من المؤمنين بكرامات الخال «فتحي» الذي لطالما كانت له رؤية ثاقبة على بواطن الأمور خصوصًا المتعلق بكل ما هو غريب.

-فهمني أكتر.

-أنا كنت أعرف الهانم، هي ست خيِّرة ومفيش حد ابن أصول مايعرفهاش، فلما عرفت انها ماتت، حبيت أروح أعزي، وهناك جاتلي رسالة.

-هناك فين؟

-في قصر الهانم!.

***

قبل عدة أيام، وفي عزاء «الهانم» كان القصر مفتوحًا للجميع كأحد أيام خيرها، فدخل «فتحي» مع الجميع، وتوجه ألى «أمير» بالتعزية؛ فلاحظ تغيرات في ملامحه عن والدته، ثم اتجه إلى الداخل حيث كان المقرئ الذي بدأ سورة الأحزاب، وبعد عدة آيات لاحظ «فتحى» من بين القادمين الهانم نفسها، وقد ظهرت في أبهى صورة؛ تتحرك بانسيابية وسط الضيوف؛ تبتسم إلى «فتحي» الذي اختارته دون غيره لتجلس إلى جواره.

-ده كان ذنبي الوحيد!.

فهم «فتحي» ما تشير إليه الهانم.

-صدق الله العظيم، هو ده حلم وعلم؟

-وإية الفرق، النتيجة واحدة.

رمق «أمير» «فتحي»؛ الذي ظهر وكأنه يتحدث إلى نفسه وسط الحضور، فتوقف «فتحي» وخرج إلى الحديقة الخارجية مبتعدًا عن الجميع؛ إلا أن «أمير» ظل يتبعه من بعيد، يرمقه وقد التفت يتحدث إلى شخص ما، لم يستطع «أمير» تمييزه.

-انتي راجعة ليه يا هانم؟

-محدش بيرجع يا «فتحي»، أنا عايزة أكفر عن ذنبي، ومش هعرف امشي غير لم اطمن.

-وإية إللي يطمنك؟

-لازم الحق يرجع لصحابه، وعشان كدة أنا جاييالك رسالة، مفيش غيرك من اللي اعرفه، يقدر يوصلها.

توتر «فتحي» مبتلعًا ريقه، بعدما تيقن من المسؤولية التي ستلقى على كاهله، وهو يستمع.

-خلي «حلمي مهران» ياخد باله، ومايحكيش سره لحد، حذّره من أقرب الناس ليه، المرة دي الضربة جاية في مقتل.

-وهو مال «حلمي مهران» ومالك؟

-رزقه، بس لازم ياخد باله، قلتلك الضربة هتيجي من القريب.

-من مين؟

تساءل «فتحي»؛ وقد غلبه الفضول، قبل أن يسمع صوت «أمير» قد وصل إليه.

-انت بتكلم مين يا حضرة؟

التف «فتحي»؛ ليجد نفسه قد صار وحيدًا دون سر الهانم.

***

(٤)

تذكر «حلمي مهران» حديثه إلى «فتحي» قبل الحادث حول خيانة شخص مقرب له، فشعر بالضيق من تلك المعلومة التي قد تكون حقيقة، فدخل وحدة إلى غرفة «سلوى» ليتأكد من تسجيل الكاميرات، إلا أنه صدم، فلقد تم إيقاف كل تسجيلات الكاميرات الداخلية بفعل فاعل؛ الأمر الذي زاد من همه، وزرع الشك في قلبه وهو يتفقد تسجيل الكاميرات الخارجية التي أكدت له عدم دخول أو خروج أي شخص خلاف مجموعتهم، فأكد على تفعيل الإنذار الخارجي مع كل حساسات الحركة بأشعتها السينية!

-انت بتدور على إيه؟

تساءلت «ماجي»؛ التي دخلت للتو دون استئذان بتلقائيتها المعهودة، فلم يجبها «حلمي مهران» للحظات، ثم أغلق الشاشة وجلس أمامها.

-هو انتي كنتي بتعملي إيه فوق لما النور قطع يا «ماجي»؟

-مش فاهمة السؤال، انت بتشك فيا يا «حلمي»؟

-مفيش حد غيرنا دخل أو خرج من الملجأ ده، يعني اللي سرق وقتل واحد مننا.

وقفت «ماجي» والغضب يملأ قلبها.

-انت بتقول إيه يا «حلمي»؟ أنت شايفني حرامية وقتالة قتله!

لم يتأثر «حلمي مهران»، وتابع أسئلته:

-«ماجي» مفيش غيري أنا وانتي و«هشام» اللي حافظين الملجأ ده من جوا.

-يبقى شوف «هشام» مش أنا يا «حلمي».

-طب ما تجاوبيني كنتي فين؟

-كنت مكان ما كنت، شوف الكاميرات بتاعتك، ولا صحيح ما هي مفصولة.

قالتها «ماجي» وخرجت؛ حيث كان البقية هناك في حالة من التوتر، فاستوقفها «هشام»:

-في إيه هو ضايقك في حاجة؟

-صاحبك شاكك فيا أنا يا «هشام».

لم يتحرك «هشام»، وظل متوقفًا حتى بدأت هي تتوتر.

-في إيه يا «هشام»، بتبصلي كدة ليه؟

-عشان أنا شوفتك فوق وقت الحادثة يا «ماجي»!.

***

في غرفة علوية؛ كان «وليد» قد تقمص عُمرًا أكبر من عمره، ومسئولية اكبر مما يتحملها كاهله؛ فقد جلس مع الأطفال الخائفين الذين تجمعوا في عنبر واحد للنوم؛ والقلق والخوف تمكن من بعضهم، والبعض الآخر يرتجف في خوف، وقد بدأ كل

منهم يتساءل عما يحدث.

-أنا سمعت ان العقد اتسرق.

-لأ طبعًا مينفعش يتسرق و«حلمي مهران» موجود.

ابتسم «وليد»، وهدأ الأطفال.

-بالضبط كدة! أنا مش عايزكوا تقلقوا خالص.

-بس احنا لازم نساعد أبوك، العقد ده لو ملاقهوش ممكن هو نفسه يتحبس.

توتر «وليد»، وقد بدأ يقتنع بحديث الأطفال.

-طيب بصوا يا ولاد، العقد أكيد مخرجش من هنا، لو عايزين تساعدوني، لازم تسمعوا كلامي كويس.

أومأ الجميع رأسهم بالإيجاب، ليتابع «وليد» أوامره بصرامه.

-يبقى لازم نلاقي العقد، احنا هندور كلنا في الدور ده لغاية ما نخلصه خالص.

-ولو ماطلعش في الدور ده!

-يبقى ربنا يسهل بعدين بقى.

قالها؛ قبل أن يعلو للتوّ صوت إنذار الحركة الخارجي في المكان

***

من أسفل انتبه «حلمي مهران» للصوت؛ فأسرع إلى جهاز الحاسوب لينتبه إلى حركة سجلتها الكاميرات الخارجية في الحديقة الخلفية ناحية المطبخ، فخرج حيث البقية.

-«سالي» هربت من المطبخ، أمِّن أنت الباب الرئيسي بسرعة يا «هشام».

فتح «هشام» باب المبنى، وتوجه ناحية الباب الخارجي، وهو البوابة الوحيدة للسور العالي الذي يحيط بالملجأ؛ بينما أسرع «حلمي مهران» الذي تحرك معه «فؤاد» و«تيم» دون غيرهما مترجلين إلى غرفة الطعام ومنها إلى أسفل، وفور نزولهما تباطأ «حلمي مهران» للحظة عندما شاهد كسرًا في لوحة مخصصة لمطفئة الحريق، فبدأ يفتشها، فجرحت يداه من زجاج اللوحة المكسور.

-معلش اسبقوني انتوا يا رجالة!.

قالها فلم يكترث «فؤاد» به؛ بينما توقف «تيم» لحظة يحاول الاطمئنان على الرجل، ولكنه لم يجد الكلمات المناسبة؛ فتبع «فؤاد» إلى المطبخ الذي كان ثالث باب على الناحية اليمنى، فدخل «فؤاد» وبعده «تيم» ليظهر لهما باب خارجي كان قفله مكسورًا من الداخل، فأسرع «فؤاد» ومن بعده «تيم» لمسح الحديقة، ليجد الأخير «سالي» تحاول في يأس تسلق السور، فاتجه ناحيتها.

-انتي بتعملي إية يا مجنونة؟!

قالها «تيم»؛ قبل أن يقفز ناحيتها «فؤاد»؛ ليقع بها أرضًا.

-سيبوني حرام عليكوا.

قالتها «سالي»؛ وهي واقعة أرضًا؛ قبل أن يهرع «تيم» إلى «فؤاد».

-انت ازاي تمسكها كدة، انت مجنون انت كمان؟

-وانت مالك يا عم هو أنت شريكها.

تساءل «فؤاد»؛ وهو يدفع «تيم» الذي لاحقه بلكمة قوية، فعاد «فؤاد» ليردها له، قبل أن يسمع كلاهما صوت عيار ناري خرج للتو من سلاح «هشام» الواقف إلى جوار «حلمي مهران»!

***

قبل الحادث

كان «حلمي مهران» مشغولًا بقدوم الخال «فتحي» المفاجئ، فاعتذر من طبيبه، وتوجه إلى الرجل، تاركًا الدكتور «صلاح» الذي توجة إلى «ماجي» طالبًا نفس الأمر.

من ناحية أخرى؛ كان ثلاثي الصحافة متوقفين سويًا لتبدأ «حنان» الحديث:

-«حلمي مهران» ده زي المحيط مهما عرفناه بيطلع مخبي أكتر.

-حقيقي فعلًا عندك حق!، أنا جعانة فعلًا وممكن أكل المحيط.

علقت «سالي»؛ قبل أن تلاحظ نظراتهما.

-في إية هي دي مش حفلة!

قالتها «سالي»، وبدأت تبحث عن مكان الطعام، وقد كان الجميع في صالة

الاستقبال، فبدأت تكتشف المكان، حتى وجدت صالة كبيرة للطعام، فدخلتها تبحث عن البوفيه؛ ولكنها لم تجد شيئًا، حينها رمقت السلم المؤدي إلى أسفل مع صوت صحون ما، فاتبعت جوعها إلى أسفل، حيث كانت هناك ردهة طويلة قليلة الإضاءة، بدايتها هناك مطفئة للحريق داخل قفص زجاجي، ومن بعده توجهت إلى الباب الأول وفتحته؛ فوجدته مخزنًا لبعض المقاعد القديمة، فاتجهت إلى اليسار؛ وفتحت بابًا آخر؛ ولكنها وجدته معملاً لبعض الدروس العملية.

أغلقت الباب وهي تبحث عن المطبخ في يأس؛ بعد أن توقف صوت الصحود فجأة، لتشعر بيأس أمام الأبواب الأربعة المتبقية، إلا أنها رأت «حجاب» خارجًا من الباب الثالث من الجهة اليمنى، فابتسمت وتوجهت إليه:

-سلاموا عليكوا يا حاج.

لم يجبها «حجاب» الذي كان ممسكًا بطبق به بعض الجاتوه، فباغتته.

-هو كله حلو كدة مفيش حادق ولا إية؟

قالتها ودخلت إلى المطبخ؛ لتبدأ تفتيشه بعينها، وقد كان ضخمًا، به الكثير من الثلاجات، والأحواض الكبيرة، فقد كان المطبخ يستقبل تبرعات كثيرة من أضحيات البعض من المواشي التي كانت تذبح في المكان، ويتم طهو لحمها على فترات طويلة!

بتلقائية فتحت «سالي» أحد الثلاجات؛ وأخرجت بعض الجبن لتقوم بعمل ساندوتش، وهي ترمق هذا الباب المؤدي إلى الخارج، والذي كان مقفولًا بقفل كبير جدًا!

قبل أن تنطفئ الأنوار ويعم الظلام!.

***

-والله ده إللي حصل وقت ما الكهرباء قطعت، حتى تقدر تسأل «حجاب».

قالتها «سالي» في الوقت الحالي، داخل غرفة «سلوى»؛ وهي جالسة أمام «حلمي مهران» و«هشام» الذي انضم له تاركًا الصالة في عناية «ماجي» التي رفضت الانضمام إليهما!

-هنسأله.

قالها «هشام» قبل أن يتابع:

-وكنتي بتهربي ليه، ومخبية العُقد فين؟

-ما انتوا فتشتوني وملاقيتوش أي حاجة.

-طيب الكاميرا دي بتاعت إية؟

تساءل «هشام»؛ لتجيبه «سالي» بانزعاج.

-يا «هشام» بيه ما أنت عارف إني صحفية!

-يبقى كنتي بتهربي ليه؟

كرر «هشام» سؤاله، لتتلعثم «سالي» قبل أن تجيب.

-خوفت، أنا عندي Claustrophobia

لم يتفهم «هشام» فاقترب منها «حلمي مهران» وهو يشرح.

-فوبيا الأماكن المغلقة.

-أه والله واسألوا «تيم» حتى.

علقت «سالي»؛ إلا أن «هشام» لم يقتنع معلقاً:

-وهو الملجأ الألف متر ده مقفول، احنا هنستهبل.

-كنت محتاجة أشم هوا.

-ومقولتيش ليه؟

في ضيق؛ كرر «هشام» تساؤله:

-خوفت، والله العظيم خوفت!.

-خلاص يا «سالي» اطلعي برة!.

علق «حلمي مهران»، ليندهش «هشام» من برودة رده.

-يعني خلاص مش هتعملولي حاجة؟

-طيب نحبسها في أوضة لغاية ما نفهم!.

قالها «هشام»، لتتوسل «سالي» إليهما.

-لأ والنبي! حرام عليكوا! والله العظيم أموت!.

-ماتخافيش! محدش هيعملك حاجة، اطلعي برة واقفلي الباب وراكي!.

خرجت «سالي»؛ دون أن تنتظر رأي «هشام» الذي ظهر عليه الضيق من أسلوب «حلمي مهران» المتهاون.

-أنا مش فاهم انت بتعمل إيه؟

-بوفر وقت، لسه فيه كتير عايز اسمعهم، انت قلتلي إن وانت فوق شوفت واحدة ست صح؟

توتر «هشام»، ثم أجاب.

-تقريبًا مش متأكد!.

***

خرجت «سالي» في ضيق؛ تحاول كتم بكائها وانهيارها؛ حتى كادت تتعثر في الطريق لتهرع إليها «حنان» تحاول تهدئتها والإمساك بها؛ قبل أن تسقط فسارت بها لتهدئتها، وتمسح دموعها بيديها حتى هدأت قليلاً، والجميع حولهم في حالة من اليأس والتوتر، وزاد عليهم بكاء «سالي» الذي جعل الأجواء أكثر حزنا ، فلم يعتد أغلبهم على مثل تلك الأجواء المشحونة من السرقة والدماء.

-معلش يا «سالي»! أنا عارفة إحساسك كويس!.

قالتها «حنان»؛ وهي تضم «سالي» إلى حضنها، فلاحظها «تيم» الذي حاول تجسيد صورة البطل، خاصة في وجود «فؤاد».

-أنا هداخل أفهمهم حالتك كويس، ماينفعش أي حد يعاملك كمجرمة.

مشيرًا إلى «فؤاد»، فرمقت «حنان» «وعد» وتدخلت قائلة:

-بالراحة يا حبيبي! مش كل الناس تستاهل عصبيتك.

ابتسم «تيم» في فخر؛ وإن كان يعلم أن «حنان» تكيد «فؤاد» و«وعد» ليس أكثر.

-حد سمع الصوت ده؟

تساءل «فتحى» الذي سمع صوت خبط ما قادمًا من أعلى، فتوتر الجميع في محاولة لإنكار الموقف، فعلق «فؤاد».

-أكيد الولاد بيلعبوا محدش في السن ده هينام دلوقتي.

-لأ دي مش حركة عيال أبدًا، بلاش نتعامى عن الحقايق.

قالها «فتحي»؛ مُزيدًا من قلقهم، فرفضت «وعد».

-بلاش توتر على الفاضى، هيكون في إيه يعني!

رمق «فتحي» السقف وهو يقول:

-اللي يعيش يا ما يشوف، اللي لا بيتقال ولا يتقرا.

***

من الطابق الأعلى كان الخوف يملأ الأطفال هم الآخرين؛ فلقد كان الجميع يسمع نفس صوت الحركة والخبط من الطابق العلوي الأخير، حتى تباطأ جهدهم في البحث عن العقد، من هيبة الموقف، خاصة هذا الطفل الأصغر ذو الثمانية أعوام، والذي يدعى «يوسف».

-أنا خايف أوي يا «وليد»، لأحسن تكون نفس الست اللي جاتلي من شوية.

-ماتخافش يا «يوسف» ؛مش الدكتور «صلاح» جه وطمنك إن مفيش حاجة.

أجاب «وليد» في محاولة لتهدئة الطفل.

-أومال إية الصوت اللي فوق ده.

توتر «وليد»، ولكنه أخذ المبادرة البطولية رغم تأكيد والده بعدم صعودة إلى أعلى، إلا أن المسؤولية المتروكة على كاهله أجبرته على كسر أمر «حلمي مهران» من أجل مصلحة عليا تخص «يوسف»؛ زينة أطفال الملجأ.

من عند السلم الذي يفصل الطابق الثاني والثالث؛ توقف «وليد»، ومن خلفه «يوسف»، فالتف إليه معلقًا:

-خلاص بقى خش انت كمل تدوير على العقد معاهم، وأنا هطلع واطمنك.

-بس لو شوفتها تقولي!.

-حاضر والله وعدا.

قالها «وليد»؛ وابتلع ريقه وصعد بقوة وجرآة ورثها عن أبيه، خطوة تلو الأخرى، حتى بدأ يدخل حيز الظلام الذي استعمر الطابق العلوي الذي وصل إليه بعد عده خطوات.

كانت العتمة تتسيد الموقف؛ فمد «وليد» يده، وفتح الإضاءة التي تزامنت مع حركة ما سمعها من عمق الدور، ابتلع ريقه واستمر في طريقه بقوة فريدة، حتى لاحظ صوت حركة قادم من غرفة «أمنية» التي سُرق منها العقد، خطوة تلو الأخرى؛ بهدوء أكمل وهو يحبس أنفاسه جاهلًا ما كان ينتظره، وعندما وصل إلى الباب المفتوح، التف بجرآة إلى الداخل وكأنه يورط نفسه في الأمر، ليجد «وليد» الغرفة خالية! ولكن نافذتها مفتوحة والهواء يحركها.

مسح «وليد» الغرفة جيدًا بعينه ليتأكد من خلوها، ثم دلف وإحكم إغلاق النافذة التي ظنها هي مصدر هذا الصوت من البداية، فاستراح وهم بالخروج، ولكنه وجدها....

هناك خارج الغرفة تقف من أمامه تبتسم له ابتسامة مبالغًا فيها!

***

من المطبخ؛ ظهر «حجاب» وحيدًا ومن أمامه فنجانين منتهيان من القهوة، إلا أنه ظهر سعيدًا وكأنه يتسامر مع شخص ما؛ حيث كانت الهانم حاضرة بصورة أو بأخرى، وقد كان «حجاب» مختلفًا مثله مثل الخال «فتحي»؛ كل منهما يرى أبعد من الصورة الثابتة التي تعرضها عينه على عقله البسيط.

ابتسم «حجاب» فجأة؛ بعدما همست إليه بمكان ما، وتوقف بطريقة ديناميكية غريبة، ثم بدأ التحرك كالملبوس خارجًا من المطبخ صعودًا إلى أعلى، وصولًا إلى الطابق الأرضي، ومن ثم توجه إلى غرفة الأرشيف التي كانت بعيدة عن الأنظار، فتحها ودخل دون أن يغلق الباب خلفه، ثم توجه إلى وحدة أدراج طويلة، بدقة توجه إلى الدرج الثالث دون غيره.

فتح الدرج وأخرجه بالكامل ليظهر هذا البريق الملفت للأنظار الذي يخرج من الدرج إلى كامل الطابق الأرضي لتلفت الأنظار إلى من يراقب وينتظر، فحين يمد «حجاب» يده ليمسك العقد، تمتد أيادٍ أخرى وتضربه على رأسه، فيسقط «حجاب» ينزف دماءه من أمام أعين الهانم التي كانت تراقب المشهد من هذا البرزخ الذي يفصلها عن عودتها لمسترقها الأخير.

***

(٥)

قبل الحادث

ذهلت «وعد» من حديث زوجها الصادم، وكادت تدمع.

-هو «وليد» فين؟ أنا عايزاه دلوقتي.

قالتها وهي تهرب من الموقف، فأتبعها «فؤاد»

-«وعد» أنا آسف مقصدتش!.

التفت «وعد» بسرعة وهي تخفي دموعها فاصطدمت ب«حنان»، وقبل أن تعلق الأخيرة، هاجمتها «وعد» قائلة:

-ما تفتَّحي انتي كمان، ولا لسه عامية زي ما انتي!

صدمت «حنان» من حديث «وعد»؛ التي قالت جملتها، وتحركت بحثًا عن «وليد» تاركة «حنان» لقسوة حديثها، وهي متوقفة بين «تيم» و«فؤاد»!

بعد لحظات استجمعت «حنان» قوتها، وتحركت إلى أحد غرف الطابق الأرضي الخاصة بالأرشيف، انفجرت هناك في البكاء؛ فلقد كانت تشعر بجرح عميق وسببه الرئيسي هي ضبط نفسها الذي استهلك كل ما لديها من قوة، فكلما كانت تكظم غيظها، كانت تستهلك وقودًا أكثر من طاقتها حتى باتت تشعر بانعدام تلك الطاقة؛ لتستغل وحدتها، وتترك المجال لدموعها، إلا أن «تيم» حرمها من خصوصيتها، فاتحًا

باب الغرفة.

-«حنان» انتي كويسة؟

قالها ودخل الغرفة؛ لتمتنع هي عن الرد، في اللحظة التي ظهر فيها «فؤاد» هو الآخر.

-«حنان» أنا جيت اعتذر لك عن اللي عملته «وعد»، هي مضغوطة شوية مش أكتر.

علق «فؤاد» معتذرًا قبل أن ينقطع النور، ويعلو صوت ضجة ما.

***

-هو ده اللي حصل بالضبط.

قالها «تيم»؛ من أمام «حلمي مهران» و«هشام» من غرفة «سلوى».

-وإيه اللي حصل في وشك ده؟

تساءل «حلمي مهران»؛ ليجيب «تيم» بتلقائية.

-ولا حاجة خرجت من الأوضة أول ما النور قطع، وفي حد زقني أنا و«فؤاد».

-زقك في وشك؟

علق «هشام» متهكمًا، فتوتر «تيم»:

-أيوة والله، حتى تقدر تسأل «حنان» أو حتى «فؤاد».

-هنسألهم!.

علق «حلمي مهران» قبل أن يسمع صوت صراخ من الخارج، فيتوقف الجميع؛ ويهرعون إلى الخارج، حيث كان الجميع قد توقفوا عند غرفة الأرشيف؛ حيث وجدوا «حجاب» ينزف أرضًا، وإلى جواره كان الدكتور «صلاح» يُسعفه، فجلس «حلمي مهران» إلى جواره يتابع الحالة من فوره.

-ماتخافش بسيطة الحمد لله!.

-نفس العصاية؟

تساءل «حلمي مهران»؛ ليجيبه الدكتور «صلاح»

-تقريبًا بس الحمد لله مفيش حاجة تقلق.

-هو إيه اللي حصل؟

سأل «هشام»؛ لتجيبه «ماجي» بتوتر غريب.

-معرفش والله!، بس واحنا قاعدين في الصالة، «فؤاد» لمح النور هنا، ولاقينا «حجاب» كدة.

لم يرتح «هشام» لإجابة «ماجي»، فتوجه إلى البقية.

-حد شاف حاجة تاني؟

طالع الجميع بعضهم البعض، وأجاب أغلبهم نفس الأجابة.

-لأ هو ده تقريبًا اللي حصل.

-طيب هو انتوا كلكوا كنتوا سوا؟

تساءل «حلمي مهران» الذي وقف للتو؛ فأجاب «فؤاد» في ترصد.

-ما عدا «سالي».

-هو انت مستقصدني ليه؟ هو أنا عدوتك!

قالتها «سالي» في ضيق وسخط:

-فيها إيه! نزلت اشرب، هو احنا في سجن، مش كفاية إني مستحملة.

-خلاص ملوش لزوم الكلام ده، لو سمحت يا «هشام» خليك معاهم هنا، وانت يا «فؤاد» أستأذنك تتفضل معايا المكتب.

علق «حلمي مهران»؛ ثم نظر إلى «وعد» وأضاف.

-ده بعد إذنك طبعًا يا «وعد».

***

قبل الحادث

ذهلت «وعد» من حديث زوجها الصادم، وكادت تدمع.

-هو «وليد» فين، أنا عايزاه دلوقتي.

قالتها وهي تهرب من الموقف، فأتبعها «فؤاد»

-«وعد» أنا آسف مقصدتش!.

التفتت «وعد» بسرعة، وهي تخفي دموعها فاصطدمت ب«حنان»، وقبل أن تعلق الأخيرة، هاجمتها «وعد» قائلة:

-ما تفتّحي انتي كمان، ولا لسه عامية زي ما انتانتي

صدمت «حنان» من حديث «وعد» التي قالت جملتها، وتحركت بحثًا عن «وليد»؛ تاركة «حنان» لقسوة حديثها ؛وهي متوقفة بين «تيم» و«فؤاد»!

بعد لحظات

استجمعت «حنان» قوتها وتحركت إلى أحد غرف الطابق الأرضي الخاصة بالأرشيف، انفجرت هناك في البكاء؛ فلقد كانت تشعر بجرح عميق، وسببه الرئيسي هي ضبط نفسها الذي استهلك كل ما فيها من قوة، فكلما كانت تكظم غيظها؛ كانت تستهلك وقودًا أكثر من طاقتها حتى باتت تشعر بانعدام تلك الطاقة، لتستغل وحدتها وتترك المجال لدموعها، إلا أن «تيم» حرمها من خصوصيتها، فاتحًا باب الغرفة.

-«حنان» انتي كويسة؟

لم تجب «حنان» والتفت هاربة بدموعها، فدخل «تيم» وأغلق الباب خلفه؛ بينما من الخارج كان «فؤاد» قادمًا للاعتذار إلى «حنان»؛ فتوقف حين وجد الباب مغلقًا، ولكن

الفضول دفعه إلى التصنت على الحديث.

-أنا مش عارف انتي سكتي لها ليه! وبعدين انتي معاكي راجل مش لوحدك!

-تقصد إيه يا «تيم»؟؟

-أقصد أنك مش لوحدك، أنا معاكي، وأظن كل مرة بتتأكدي، أننا لازم نبقى سوا.

-أنا مش محتاجة حد معايا.

-لأ محتاجة، اسمعيني بقى، أنا مش هسيبك لوحدك أبدًا، انتي محتاجاني، وأنا كمان محتاجلك أوي يا «حنان»...

-انت بتعمل إيه؟!!

توتر «فؤاد» من الحديث؛ وفتح الباب من فوره.

-انت بتعمل إيه يا حيوان!

قالها «فؤاد»؛ بينما التفت «تيم» مدافعًا عن نفسه.

-وأنت مال أهلك، ما تروح تتشطر على مراتك.

-لأ ده أنت كمان قليل الأدب، ومحتاج تتربى!.

علق «فؤاد» وسط ذهول «حنان»، ليبدأ كل منهما ملاكمة الآخر؛ حتى قطعت الكهرباء فجأة عن المكان.

***

-هو ده اللي حصل بالظبط.

قالها «فؤاد» إلى «حلمي مهران»؛ الذي بات يستمع إلى قصة مختلفة عن شرح «تيم».

-حتى تقدر تسأل «حنان» نفسها وتتأكد.

لم يجب «حلمي مهران» وأخرج من جيبه مكعب روبيك، وبدأ يحركه بشكل سريع.

-ها محتاج مني حاجة تانية؟!.

-هو انت عامل إيه مع «وعد»؟

-أفندم!!

***

من الخارج

كان «فتحي» إلى جانب «حجاب»؛ يطمئن عليه بعدما استعاد كامل وعيه.

-حمدا لله على السلامة يا غالي، معلش كل مؤمن متصاب!.

ابتسم «حجاب»؛ واستعدل جلسته ليقوم.

-انت رايح فين يا عم «حجاب»؟

-هروح أشوف شغلي، كل واحد لازم يشوف شغله، ده مقدر ومكتوب.

أجابه «حجاب»؛ قبل أن يسمعا صوت الدكتور «صلاح» من بعيد.

-قسمًا بالله أقلعكلوا ملط، هو في إيه! يا جماعة أنا دكتور، والله العظيم أنا دكتور، مش معقول مفيش أي حد منكم بيسمع الكلام، إيه لازم أجيبلكوا سلاح عشان تسمعوا كلامي؟.

ابتسم الجميع رغم توترهم، ومنهم «حجاب» الذي اقترب من الدكتور «صلاح» لكي يطيب خاطره.

-ماتخافش عليا يا دكتور، هما محتاجينك أكتر مني، صدقني.

قالها «حجاب»؛ وهو يتجه إلى الصالة المتصلة بالسلم؛ بينما ضرب الدكتور «صلاح» كفًا على كف.

-ماتخافش عليه يا دكتور «صلاح»؛ أنا هنزل معاه المطبخ، ده تخصصي الدقيق.

أضافتها «سالي»؛ وهي تتحرك مع «حجاب».

-تعالى يا عم «حجاب» احنا ملناش غير بعض أقسم بالله، وحسبي الله ونعم الوكيل، في اللي جه علينا احنا الاتنين.

ابتعدت «سالي» مع «حجاب» عن الأنظار؛ بينما لاحظ «فتحي» شيء ما يتحرك ناحية الممر المؤدي إلى غرفة الأرشيف، فابتعد عن الجميع، وتوجه إلى هناك بخفة يجدها تبتسم له، فاقترب بخفه وفرحة إلى هناك.

-الهانم نفسها!

-وصلت الرسالة يا خال «فتحي»؟

دخل «فتحي» غرفة الأرشيف، وأغلق بابها خلفه، حتى لا يتم اتهامه بالجنون، ثم توجة إلى الهانم بالحديث.

-وصلت الرسالة بالضبط، بس هو يا ضنايا محتاس!.

-«حلمي مهران» مايتخافش عليه، هو فهم كل حاجة من الأول!.

-يعني هو عارف اللي سرقك؟

ابتسمت الهانم وهي تجيب.

-أكيد طبعًا، بس هو محتاج يفهم.

-طيب ألف بركة! ريحتي قلبي.

-«حلمي» ربنا بيحبه إنه بيكشفله الناس، في منا بيعش ويموت قبل ما يفهم.

اقترب «فتحي» بفضول؛ ليسألها.

-طيب ما تفهميني أنا كمان.

-مش مهم «حلمي مهران» هيبقى يفهمك، دلوقتي انت كمان لازم تعرف مكان العقد، بس تخلي بالك عشان ميحصلكش زي اللي حصل ل«حجاب»!

***

قبل الحادث

ذهلت «وعد» من حديث زوجها الصادم، وكادت تدمع.

-هو «وليد» فين، أنا عايزاه دلوقتي!.

قالتها وهي تهرب من الموقف، فأتبعها «فؤاد»

-«وعد» أنا آسف مقصدتش.

التفتت «وعد» بسرعة، وهي تخفي دموعها فاصطدمت ب«حنان»، وقبل أن تعلق الأخيرة، هاجمتها «وعد» قائلة:

-ما تفتحي انتي كمان، ولا لسه عامية زي ما انتي!

صدمت «حنان» من حديث «وعد»؛ التي قالت جملتها وتحركت؛ بحثًا عن «وليد» تاركة «حنان» لقسوة حديثها؛ وهي متوقفة بين «تيم» و«فؤاد»!

بعد لحظات

استجمعت «حنان» قوتها، وتحركت إلى أحد غرف الطابق الأرضي الخاصة بالأرشيف، وانفجرت هناك بالبكاء؛ فلقد كانت تشعر بجرح عميق؛ وسببه الرئيسي هي ضبط نفسها الذي استهلك كل ما لديها من قوة، فكلما كانت تكظم غيظها؛ تستهلك وقودًا أكثر من طاقتها حتى باتت تشعر بانعدام تلك الطاقة، لتستغل وحدتها وتترك

المجال لدموعها، إلا أن «تيم» حرمها من خصوصيتها، فاتحًا باب الغرفة.

-«حنان» انتي كويسة؟

لم تجب «حنان»، والتفتت هاربة بدموعها، فدخل «تيم» وأغلق الباب خلفه، بينما من الخارج كان «فؤاد» قادمًا للاعتذار إلى «حنان»، فتوقف حين وجد الباب مغلقًا، ولكن الفضول دفعه إلى التصنت على الحديث.

-أنا مش عارف انتي سكتي لها ليه! وبعدين انتي معاكي راجل مش لوحدك!

-تقصد إيه يا «تيم»؟؟

تساءلت «حنان»؛ وهي تلتف إلى «تيم»:

-أقصد إنك مش لوحدك، أنا معاكي.

-أنا مش محتاجة حد معايا.

-لأ محتاجة يا «حنان» مفيش ست تقدر تعيش لوحدها.

من الخارج فتح «فؤاد» الباب فجأة واقتحم الغرفة.

-انت بتعمل إيه يا حيوان!

من الداخل اندهش «تيم» من حديث «فؤاد» الفج، بينما تسائلت «حنان» مندهشة:

-مالك يا «فؤاد» انت اتجننت؟

-اتجننت! انتي مش شايفة البيه بيحاول معاكي ازاي؟!

قالها «فؤاد» والغيرة قد ملأت قلبه وحجبت عقله، ليعلق «تيم»:

-ما تحترم نفسك يا بني آدم انت... أنا معملتش حاجة.

-وهو أنا هستناك لما تعمل، وهنا في مكان زي ده!!

-لأ أنت أكيد مجنون!!!!

قالها «تيم»؛ وهو يحاول الهروب من الغرفة في جبن ملحوظ، ليستوقه «فؤاد»:

-لأ استنى هنا لما نخلص كلامنا!.

توتر «تيم»، ودفع «فؤاد» الذي رد باللكمة الأولى من فوره، فهرعت «حنان» وخرجت من الغرفة وصعدت إلى أعلى هروبًا من الموقف؛ قبل أن تنقطع الكهرباء والإضاءة عنهما!

***

-هو ده اللي حصل بالضبط.

قالتها «حنان» من أمام «حلمي مهران» الذي كان يستمع إلى حديثها المختلف للمرة الثالثة على التوالي، رغم تواجد ثلاثتهما سويًا، فلم يجب، وأكمل أكل تفاحته في هدوء.

-هو انت لو مش مهتم بحكايتي، جبتني ليه؟

نظر «حلمي مهران» إلى ساعته، وهو يقول:

-بضيع وقت! لسه معايا ساعة.

زاد برودة من عصبيتها؛ لتقل هي في غضب.

-أنا عارفة انك شاكك فيا، ومش فارق معايا عارف ليه؟

-أه عارف!.

بهدوء قاتل قالها؛ إلا أنها لم تهتم، وأضافت.

-لأ مش عارف، عشان محدش فيكوا يعرف حقيقتي، أنا أولى واحدة بالعُقد ده، عشان يتيمة، أيوة يتيمة، يعني يجوز عليا صدقة الهانم.

توقف «حلمي مهران» عن قضم تفاحته وتركها؛ احترامًا لاعترافها.

-أنا أكتر واحدة يجوز عليها الصدقة عمومًا، لإني مخدتش حاجة من الدنيا غير جمالي، اللي ملمش عليا غير الزبالة، أنا على فكرة كنت بحب «فؤاد» لما طليقتك رمته، بس أول ما احتويته هي جريت عليه، بعد ما رمتك أنت، هي كدة أنانية وعايزة تاخد أي حاجة غالية....

سكتت لحظة، ثم تابعت بحرقة.

-عشان كدة لما شوفتك وقربت منك بعد ما اطلقتوا برضه حليت في عنيها، رغم إنها كانت مستنية لحظة موتك عشان ترجع لحبيبها.

زاد حديثها قسوة؛ ولكنها لم تتردد وأكملت:

-هي دي الحقيقة اللي انت عارفها، انت طلقتها لما شوفت «أمنية» هنا في الملجأ، حتى لما عرفت انها ماتت، عشان أصيل، لكن «وعد» عايزة كل الرجالة حواليها، عايزة واحد أساسي، وفريق كامل احتياطي.

بهدوء شديد؛ بدأ «حلمي مهران» الحديث:

-خلصتي كلامك؟

اندهشت «حنان» من هدوئه؛ فأومأت بالإيجاب:

-طيب أولًا أنا مش احتياطي، ولا عايز ابقى أساسي لحد، وزي ما انتي قلتي «أمنية» ماتت، وبالنسبة ل«وعد» فهي طليقتي، وأم ابني؛ عشان كدة مش هقدر اسمحلك إنك تتكلمي عليها أكتر من كدة، لكن أوعدك إني أنسى كل كلمة انتي قلتيها برة الموضوع، وهرجع أسألك في القضية، انتي شوفتي إية تاني في الحادثة بتاعتنا؟

ابتسمت «حنان» في كيد وهي تقول.

-أنا شوفت «وعد» في الدور اللي فوق وقت الحادثة، وتقدر تتأكد منها لو تحب.

***

(٦)

قبل الحادث

ومن الحفل عاتبت «وعد» زوجها عن حديثه:

-مش معقولة تلميحاتك دي يا «فؤاد»!

-تلميحاتي أنا برضه! انتي مش شايفة كلامك، وبعدين لو طليقك عاجبك أوي كدة، سيبتيه واتجوزتيني ليه!

ذهلت «وعد» من حديث زوجها الصادم، وكادت تدمع.

-هو «وليد» فين؟ أنا عايزاه دلوقتي.

قالتها وهي تهرب من الموقف، فأتبعها «فؤاد»

-«وعد» أنا آسف مقصدتش!.

التفت «وعد» بسرعة؛ وهي تخفي دموعها فاصطدمت ب«حنان»، وقبل أن تعلق الأخيرة، هاجمتها «وعد» قائلة:

-ما تفتحي انتي كمان، ولا لسه عامية زي ما انتي!

صدمت «حنان» من حديث «وعد»؛ التي قالت جملتها، وتحركت بحثًا عن «وليد»؛ تاركة «حنان» لقسوة حديثها؛ وهي متوقفة بين «تيم» و«فؤاد»!

صعدت «وعد» على السلم بحثًا عن ابنها في الطابق العلوي.

-«وليد»....انت فين يا «وليد».

ظلت تناديه حتى ظهر لها ابنها من إحدى الغرف، وهو متوتر.

-في ايه يا «وليد» مالك؟

تمالك «وليد» نفسه؛ ثم أجاب بقلق:

-ولا حاجة يا ماما! بس «يوسف» تعبان شوية.

-«يوسف» مين؟

تساءلت «وعد»؛ فأمسكها «وليد» لتدخل إلى أحد غرف الأطفال، حيث كان «يوسف» يرتجف على سريره، فاقتربت «وعد» منه تحاول تهدئته.

-مالك بس يا حبيبي في ايه؟

لم يجب «يوسف»؛ فتدخل «وليد»

-ولا حاجة يا ماما! بس تقريبًا شاف حاجة خوفته.

لم يستطع الجهر بالحقيقة؛ فلقد شاهد «يوسف» الهانم تتحرك في الغرف؛ قبل أن تتبخر فجأة من وسطهم!

-طيب أنا هنده الدكتور «صلاح» ييجي يطمنا عليه.

قالتها وأسرعت إلى الخارج؛ تبحث في قلق على الدكتور «صلاح»؛ الذي ظهر ناحية السلم يتحدث إلى «ماجي»، فأحسنت «وعد» الإنصات في فضول نسائي:

-أرجوك يا دكتور خلي الموضوع ده سر بينا لغاية ما أنا اتصرف.

-وهو انتي متأكدة إنك هتعرفي تتصرفي في مبلغ زي ده لوحدك؟

تساءل الدكتور «صلاح»؛ لتتوتر «ماجي» ثم تجيب.

-أنا هتصرف! مش هنقف على أي فلوس.

قالتها «ماجي» قبل أن تنتبه إلى وجود «وعد»؛ فتوترت وعلقت.

-في حاجة يا مدام «وعد»؟

أحرجت «وعد»؛ وبدأت تتحدث متلعثمة:

-معلش أنا آسفة مكنتش قاصدة أقلق حضراتكوا، بس فيه طفل تعبان، وكنا عايزين نستغل وجود الدكتور «صلاح» مش أكتر.

تدخل الدكتور «صلاح»؛ ليحل الأمر.

-آه طبعًا طبعاً، حالا آجي مع سيادتك يا هانم اتفضلي، عن إذنك يا «ماجي».

قالها واستأذن من «ماجي» ليتبع «وعد» صعودًا إلى أعلى؛ حيث غرفة الطفل «يوسف» الذي كان لا يزال يرتعش وسط أصدقائه، فهرع إليه «صلاح» مطمئنًا:

-مالك يا بطل في إيه بس؟

-أنا شوفتها كانت هنا ومشيت فجأة.

قالها الطفل؛ قبل أن يتدخل «وليد» شارحًا.

-أصله متهيأ له إنه شاف حد يعني.

-لا مش متهيألي، أنا شوفتها، بس فجأة مشيت أول ما «حلمي» جه.

حاول «صلاح» فهم الأمر.

-تقصد إنها اختفت أول ما «حلمي» جه؟

-أيوة اختفت على طول.

ابتسم «صلاح»؛ وبدأ الحديث بعمق.

-طيب بص بقى يا حبيبي، واحنا صغيرين بنشوف حاجات كتير، محدش غيرنا بيقدر يشوفها، وأول ما العواجيز اللي زينا بيظهروا كل حاجة حلوة ممكن تمشي.

-يعني أنا لما اكبر مش هشوف الحاجات دي؟

-بالضبط كدة.

-يبقى أنا مش عايز أكبر.

ابتسم «صلاح» وهو يُربت على كتف الطفل ثم قال:

-لأ ان شاء الله تكبر وتبقى أكبر مننا كلنا، ممكن بقى دلوقتي تخليني أكشف

عليك.

***

-هو ده بالضبط اللي حصل.

قالتها «وعد»؛ التي كانت أمام «حلمي مهران» داخل مكتب «سلوى».

-طيب والعصايا اللي في شنطتك دي ليه؟

-ولا حاجة «فؤاد» جابهالي أمان، ما أنت مش علطول موجود.

بأنثوية قالتها؛ فلم يرتح «حلمي مهران» لحديثها؛ لتستعدل في جلستها مضيفة:

-ولو مش مصدقني تقدر تسأل «وليد».

-وأنا هكدبك ليه يعني؟!.

ابتسمت «وعد»، وهي مترددة من المتابعة.

-«حلمي» أنا فخورة بيك.

ابتسم «حلمي مهران» ابتسامة صفراء.

-عشان اتسرقت!

-انت عارف ليه، أنت بقيت حاجة كبيرة أوي يا «حلمي»، مش.....

ليقاطعها حلمي مسرعا:

-مش «حلمي» اللي انتي طلبتي تطلقي منه!.

أُحرجت «وعد» وبررت.

-انت مكنتش كدة، ماتلومنيش، أنت فعلًا مكنتش لاقي نفسك.

-بس خلاص لاقيتها.

نظرت «وعد» إلى المكان، وأشارت اليه قائلة.

-بسبب المكان ده، ولا بسبب «أمنية» اللي شوفتها هنا!

قالتها «وعد» مشيرة إلى حقيقة حبه باليتيمة «أمنية»؛ التي كانت تدرس لليتامى هنا، والتي تمت سرقة العقد في غرفتها!

-مش موضوعنا يا «وعد»، هي خلاص في مكان تاني.

علق «حلمي مهران» مشيرًا إلى موتها الذي يظنه وإن كان لا يزال الشك يطارده بفكرة وجودها حيه.

-أنت متأكد إنها ماتت؟

-قلنا مش موضوعنا يا «وعد»، كفاية كدة، لو سمحتي خليكي برة.

بحدة قالها «حلمي مهران»؛ الذي كانت ذكرى «أمنية» من نقاط ضعفه، فتوقفت «وعد».

-حاضر، وانا آسفة على أي حاجة حصلت، وبالنسبة للحادثة أنا متأكدة انك هتعرف

مين اللي سرق، عشان ترفع راس ابنك كالعادة، زي ما قلتلك احنا كلنا فخورين بيك.

قالتها؛ ثم توقف لحظة متابعة:

-وعلى فكرة أنا دايمًا حاسة بالأمان، لأن انت حتى في غيابك بتبقى موجود لما نحتاجك، أو حتى قبل ما نحتاجك.

قالتها متأثرة؛ فلقد كان «حلمي مهران» بالفعل يراقب احتياجاتها من قريب رغم بعده، فابتسمت ماسحة دمعة هاربة منها.

-انت صعبتها أوي على أي راجل بعدك يا حلمي!.

أومأ «حلمي مهران» رأسه مقدرًا وهو يعطيها منديلًا لتمسح دموعها دون أن يقف، فأمسكت به شاكرة إياه قبل أن تضيف:

-نفسي «وليد» يطلعلك!.

يبتسم «حلمي مهران»، وينتظر حتى تخرج ليمسح دمعة علقت داخل قلبه؛ فلقد عاش مع «وعد» سنوات عديدة لم تكن ترى حقيقته فيها، ولم تكن أبدًا شريكة لحياته أو طريقه، إلا أنها ظلت حبه الأول، قصة كان يتوقع لها نهاية أخرى منذ أن أفدى والده والدها في صغرهما، ويصبح اللواء «فاروق» والدها بمثابة أب روحي له.

لكنها حال الكثير من النساء لم تقدر ما قدر لها ظنًا منها أنها مُجبرة، فحاولت كثيرًا العودة إلى علاقتها ب«فؤاد» هذا الفنان الذي لم ينسَها قط، وحين تحقق لها الحلم أعلمها الأطباء بوفاة «حلمي مهران» الإكلينيكي؛ بعد حادثه الشهير في الحادي

والثلاثين من أكتوبر، إلا أنه خيب ظنها وعاد للحياة.

ثم زاد من خيبتها حين وافق على طلاقها؛ رغم اختفاء «أمنية»؛ وها هو يزيد من حسرتها أكثر بعد أن عاشت حياة رتيبة مع «فؤاد» الذي أنجبت منه ابنتها «إيمان»؛ لتراقب إنجازات «حلمي مهران» من بعيد كالغريب.

ولا يزال «حلمي مهران» يخفي الكثير من الجروح داخل قلبه؛ خلف واجهة من البرود الذي صار مشهورًا به! توقف «حلمي مهران» عند المرآة ليتأكد أنه أخفى ضعف قلبه، ثم مسح وجهه راسمًا تلك الصورة المعهودة له، وخرج من الغرفة بحثًا عن ابنه قبل أن يخطف نظرة عتاب إلى «ماجي» التي تجنبت هذا التحقيق منذ البداية عمدًا، فهربت هي بنظراتها، وأكمل حتى استوقفه «هشام».

-إيه يا «حلمي» الوقت بيجري؛ فات ساعتين.

-متخافش قبل الميعاد!.

-إيه! الحاسة السابعة اشتغلت؟!

قالها «هشام» مشيرًا إلى كرامات «حلمي مهران» المعهودة؛ وتلك الرؤى التي تطارده منذ عودته للحياة، إلا أنه لم يبصر رؤية واحدة.

-أنا عمري ما حليت قضية بالحاسة السابعة.

مدافعًا عن ذكاء عقله؛ أجاب «حلمي مهران»:

-طب متزقش بس، أنا عارف إن الداهية كلها في المخ الأماظات ده؛ بس برضه

ماتنكرش ان اللي أنت بتشوفه بيأثر فيك، وفينا كلنا.

ابتسم «حلمي مهران» الذي صار أكثر نضجًا، فلم يعد يبالي بما يرى، فهو يعرف أن في الكثير من الأحيان يغازله عقله برؤى كاذبة، حتى يهذبه، ويزرع أهمية المنطق داخل عقله قبل قلبه.

-طيب أنا هاطلع أشوف «وليد» وهنزل تاني، وماتخافش أنا عرفت كل حاجة من بدري.

قالها ثم توقف مضيفًا:

-بمخي مش بالحاسة السابعة.

-طب إيه؟

نظر «حلمي مهران» إلى ساعته ببرود:

-لسه ناقصلي ساعة، حاسب بقى عشان قلقان على «وليد».

-الحقوني! احنا مش لاقيين «وليد»

قالها للتو الطفل «يوسف»؛ الذي كان متوقفًا عند السلم من أعلى يبكي؛ فنظر «هشام» تلك النظرة إلى «حلمي مهران»، وكأنه كان يعرف أن هناك أمرًا، ثم هم بالصعود معه، إلا أن «حلمي مهران» استوقفه.

-خليك هنا يا «هشام»، أنا عارف ابني فين.

رمقه «هشام» بنظرة تخفي الكثير من الأسئلة، فوضح «حلمي مهران».

-المرة دي الحاسة السابعة.

***

صعد «حلمي مهران» وحيدًا على السلم؛ وصولًا إلى الطابق الأول؛ حيث غرف الأطفال ثم توجه بالسؤال إلى «يوسف»:

-هو «وليد» طلع الدور الأخير؟

لم يُجب «يوسف» في البداية، ليكرر «حلمي مهران» سؤاله.

-انت عمرك خوفت مني؟

أومأ «يوسف» رأسه بالنفي، ثم أجاب.

-احنا سمعنا صوت فوق، واحنا خوفنا؛ فهو طلع. أنا آسف.

ربَّت «حلمي مهران» على كتف الطفل؛ ثم هم بالصعود إلى الطابق الأول، ومنه إلى الذي يليه وصولًا للطابق الأخير الذي كانت إضاءته لا تزال مترددة في الانضباط، فبدأ «حلمي مهران» الحركة بهدوء لا يخلو من قوة، حتى وصل إلى غرفة «أمنية»، فدخلها بترقب، فلم يجد «سلوى» هناك، فلم يكترث وهو يمسح الغرفة التي كان يمتلك فيها الكثير من الذكريات مع «أمنية»، فلم يستطع منع الابتسامة من التملك من وجهه، ثم تحرك إلى تلك النافذة التي كانت لا تزال تتحرك بغضب، ففتحها وعبر إلى تراس متناهي الصغر، لا يعرف وجوده الكثيرون، ومنه رمق سلمًا خدميًا يؤدي إلى السطح،

فصعده بتلقائية وهدوء، حتى وصل إلى السطح، حيث كان «وليد» جالسًا على سقف مائل شديد الخطورة؛ بثقة شديدة ورثها من والدها الذي تحرك بانسيابية هو الآخر على الأسطح المائلة بخفة، حتى جلس إلى جواره.

-كنت عارف إني هلاقيك هنا.

-ما انت بتعرف كل حاجة.

ابتسم «حلمي» الذي حاول السيطرة على خوفه الإنساني على ابنه.

-بس أنا مش سوبر مان.

-انت مش سوبر مان، انت «حلمي مهران» وده كفاية.

بدقه وحرص أمسك «حلمي مهران» ابنه الذي علق.

-أنا عارف أن اللي بيموت ما بيرجعش، بس ليه ممكن نشوفهم؟

-مش كل إللي بنشوفه لازم نفهمه.

-بس انت علمتني إني لازم أفهم.

ضم «حلمي مهران» ابنه وهو يقول:

-مش معنى أن حد مات، انه مش موجود يا «وليد».

-بس أنا عارف إنك نفسك تشوف باباك صح؟

أومأ «حلمي مهران» رأسه.

-ما انت عارف كل حاجة أهو.

-عايز تشوفه ليه؟

ابتسم «حلمي مهران» من ذكاء ابنه.

-عشان نفسي أحس إنه فرحان بيا، لأنه مات قبل ما يشوف الحلو فيا.

-بس انا شوفته وقالي العكس.

توتر «حلمي مهران» وهو يتساءل:

-شوفت مين؟

-جدو «عبد المهيمن» تاني.

قالها وبدأ «وليد» يصف إلي «حلمي مهران» مواصفات والده؛ ثم استشهد بيوم استشهاده.

-هو حكالي عن اليوم اللي دافع فيه عن جدو «فاروق» واستشهد.

ابتلع «حلمي مهران» ريقه؛ بينما أكمل الابن:

-قالي إن اليوم ده جالك الصبح، وقالي اإه زعلان إنك مكنتش تعرف إن هو كان بيحبك أوي.

احتضن «حلمي مهران» ابنه بقوة؛ وهو يتسائل:

-المهم ان انت تعرف قد إيه أنا بحبك يا «وليد».

-وقالي حاجة تانية كمان أوصيك بيها.

اندهش «حلمي مهران» وارتسم على وجهه الفضول:

-قالي إن مش كل اللي بنشوفه بنحكي عنه.

تفهم «حلمي مهران» الرسالة، فكررها على ابنه.

-أنا فاهم، ولازم انت كمان تفهم ده، أنا عارف كويس انت شوفت إيه، وليه طلعت هنا.

-يعني أنت عارف إني شوفتها!!! هي عايشة صح؟ وبتمشي وبتتحرك في الدور التالت.

أومأ «حلمي مهران» رأسه بالإيجاب.

-صدقني أنا عارف بس زي ما جدك قال، مش كل اللي يتشاف يتحكى.

قالها «حلمي مهران» قبل أن يندهش من صوت سارينة الشرطة التي تقترب من الملجأ، فنظر إلى ساعته متيقنًا أن الوقت لم يحن بعد، فتأكد أن هناك من خانه وسط مملكته، وأبلغ الشرطة قبل «هشام»...

***

(٧)

من أسفل فتحت «ماجي» الباب بتوتر شديد، ليدخل أحد الضباط الذي تقدم عساكره، متفقدًا المكان بناء على البلاغ الذي وصل إليه.

-مساء الخير يا فندم!، أنا عندي بلاغ متقدم بخصوص سرقة.

تقدم «هشام» إلى الرجل معرفًا نفسه، كأحد ضباط النيابة العامة، فحياه الضابط، ولكنه أصر على التحقق من الأمر.

-طيب معلش هو مين إللي مقدم البلاغ؟

تساءل «هشام» ليقترب منه الضابط تقديرًا لرتبته هامسًا.

-صحفي اسمه «تيم» .

التفَّ «هشام» إلى «تيم» باشمئزاز، ففهم الجميع، قبل أن يظهر «حلمي مهران» مترجلًا ممسكًا بابنه «وليد»، فابتعد الجميع تاركين المجال له، فأخرج «حلمي مهران» من جيب جاكتته الجلدية الأوراق التي تثبت مسؤوليته الإدارية للمكان، فأخذها الضابط.

-أنا معنديش أي حالة سرقة يا فندم، وده بلاغ كيدي، وأنا أتمنى تعمل للأستاذ «تيم» محضر إزعاج سلطات.

من بين الجمع توقف «تيم» الذي بات يعرف أنه لن يستطيع الصمود وسطهم، بعد

أن اتصل بالشرطة من هاتفه الثاني.

-يا باشا في كمان جريمة قتل!.

جحظت عينا الضابط الذي بدأ يشعر بأهمية تلك القضية.

-مين اللي اتقتل؟

-مشرفة الدار، إللي اسمها «سلوى».

في هدوء التف «حلمي مهران» للضابط.

-لأ كدة احنا مش محتاجين نعمل بلاغ إزعاج سلطات، احنا محتاجين نعمل تحاليل.

لم يفهم الضابط؛ فأكمل «حلمي مهران» متهكمًا.

-عشان نعرف نسبة المخدرات قد إيه، ولغاية ما النتيجة تطلع أحب أعرف سيادتك بالأستاذة «سلوى» مديرة الملجأ.

قالها مشيرًا إلى السلم حيث كانت «سلوى» قد ترجلت بالفعل للتو وسط ذهول وتساؤلات الجميع.

-مساء الخير يا حضرة الضابط، أنا «سلوى» مديرة الملجأ؛ أقدر أساعد سيادتك ازاي؟

***

قبل عدة ساعات

بعد الحادث مباشرة؛ حين عادت الكهرباء من الانقطاع بعد دقائق من الهرج والمرج، ترك «حلمي مهران» الخال «فتحي» واتجه ناحية السلم، فوجد «ماجي» تهرع إلى أسفل، فاندهش متسائلًا عما كانت تفعل بالأعلى:

-«ماجي» انتي كنتي بتعملي إيه فوق؟

لم تُجب «ماجي»، فلاحظ توتر البقية بالأسفل، فتابع قائلًا:

-هنتكلم بعدين، دلوقتي خليكي تحت، وماتخليش حد يطلع غير لما افهم.

أومأت «ماجي» رأسها بالإيجاب؛ ونزلت متوقفة عند السلم كالحارس، تاركة المجال ل«حلمي مهران» الذي صعد إلى الطابق الأول؛ حيث وجد الدكتور «صلاح» هو الآخر واقفًا عند غرفة أحد الأطفال.

-انت كمان بتعمل إيه هنا؟

-والله كان فيه ولد تعبان.

رمق «حلمي مهران» ابنه «وليد» من الخلف الذي أشار له بالإيجاب، فنظر «حلمي مهران» إلى الرجل قائلًا:

-طب خليك هنا وما تطلعش حد من الولاد ورايا.

-حاضر متخافش!.

ترك «حلمي مهران» الطابق الأول في عناية الدكتور «صلاح»؛ وصعد مسرعًا إلى الطابق الأخير حيث وجد «هشام» واقعًا أرضًا فتوقف من فوره يتفقد جرحه، حتى اطمأن أنه صامد ممسكًا رأسه، فأعدل جلسته على الحائط، ثم دخل متفقدًا إلى غرفة «سلوى» التي كانت فاقدة للوعي، والخزنة مفتوحة دون العقد، فجثا على ركبتيه يحاول أن يطمئن عليها، حتى بدأت تهزي قائلة:

-والله أنا كنت هصور العقد للخواجة «جون» بس، مكنتش ناوية اعمل حاجة تانية.

توقف «حلمي مهران» مفزوعًا حين سمع اسم غريمه «جون»؛ الذي حاول سرقة الآثار المصرية في قضية الحادي والثلاثين من أكتوبر، ليشعر بالغدر الشديد من مديرة ملجأ الإيتام التي ظهرت متورطة في الكثير.

من فوره خرج «حلمي مهران»؛ وأمسك «هشام» واضعًا إياه في الغرفة المقابلة لغرفة «أمنية»؛ ثم ترجل مسرعًا إلى أسفل؛ ونادى طبيبه «صلاح» الذي كان متوقفًا عند السلم ينتظر الأوامر.

-اطلع بسرعة يا دكتور، بس لوحدك!.

صعد الدكتور «صلاح» السلم بطرفه الصناعي في هدوء؛ حتى وصل إلى الطابق العلوي، ليدخله «حلمي مهران» إلى حيث وضع «هشام».

-خلي بالك منه لغاية ما يفوق، وماتطلعش من الأوضة هنا.

توتر «صلاح» من الموقف متسائلًا:

-هو حصل إيه يا «حلمي» ماتفهمني.

-مش وقته!.

قالها «حلمي مهران»، وتوجه إلى «سلوي»، ثم أغلق باب الغرفة خلفه وجثا على الأرض ليمسكها.

-انتي بتخونيني يا «سلوى»، وانا إللي مستأمنك على العيال دي؟!!!

في ندم وهي تحاول التمسك بوعيها بصعوبة.

-كان واعدني بفلوس كتير... أنا آسفة، بس أنا مستعدة أعمل أي حاجة وتحميني منها.

-من مين؟

في توتر وهي تبكي تنظر يمينها ويسارها.

-من الهانم!.

استغل «حلمي مهران» الموقف واقترب منها.

-أنا مش هحميكي من الهانم، لأ أنا هوصلك لقبرها بنفسي، بعد ما احبسك العمر كله.

-لأ أبوس إيدك، أنا مستعدة أعمل أي حاجة عشان أكفر عن ذنبي.

ابتسم «حلمي مهران» الذي بدأ يضع خطته بسرعته وحضوره المعروفان عنه.

***

غادرت الشرطة تاركة الفضول يعم على الجميع، وعلى رأسهم صديقه «هشام» الذي تساءل من أمام الجميع.

-انت عملت كدة ليه يا «حلمي»؟

توقف «حلمي مهران» من وسطهم مجيبًا.

-أولًا عشان تهتموا وتقعدوا لغاية ما نلاقي العقد، دي فلوس يتامى.

-خايف على مصلحتك بس!.

علق «تيم» هروبًا من الذنب؛ قبل أن يضيف «حلمي مهران»

-وثانيًا وده الأهم..... عشان اشوف تعبيرات وشكوا، واعرف مين ضرب «سلوى» عشان يسرقها، وكنت عايز اعرف هيعمل إيه لما يعرف إنه قتلها.

عاد «تيم» ليجلس هروبًا من نظرات «حلمي مهران»؛ بينما تقدم «هشام» متوجهًا إلى «ماجي».

-تقريبًا، بس لسه في حلقة واحدة عايزة اعرفها.

قالها وهو يشير إلى «ماجي» مضيفًا:

-أظن احنا محتاجين نتكلم.

لم تستطع «ماجي» الهروب من الموقف تلك المرة، فسبقته إلى غرفة «سلوى»، بينما اعتلى «حلمي مهران» المقعد مرة ثانية.

-المرة دي الباب مفتوح، مفيش جريمة قتل اللي عايز يمشي يمشي، بس طبعًا «هشام» هيفتشه قبل ما يخرج، أما اللي عايز يستنى لغاية ما نلاقي العقد فالمكان يساع من الحبايب ألف.

-هنستنى طبعًا.

علق «فؤاد»؛ ومن بعده «وعد»؛ التي رمقت «ماجي» بشيء من الشماتة؛ بينما تابع «حلمي مهران» خطواته إلى غرفة «سلوى»؛ حيث كانت «ماجي» تنتظره لتعترف!

***

قبل الحادث

تحركت «سلوى» على مضدٍ قائلة:

-حاضر هخش أجيب المفتاح ونطلع.

قالتها «سلوى» لتعود إلى غرفتها مع «هشام»؛ تاركين الضيوف الذين بدؤا الاحتكاك بالأطفال والتعرف على المكان.

-«حلمي» احنا محتاجين نتكلم.

علق الدكتور «صلاح»، إلا أن «حلمي مهران» كان مشغولًا بقدوم الخال «فتحي»

المفاجئ، فاعتذر من طبيبه، وتوجه إلى الرجل، تاركًا الدكتور «صلاح» الذي توجة إلى «ماجي» طالبًا نفس الأمر.

-«ماجي» ممكن اخد من وقتك خمس دقايق.

-معلش يا دكتور بس أديك شايف «حلمي مهران» مشيلني كل حاجة، ممكن نخليها وقت تاني؟

-بس «حلمي مهران» هيموت.

توقف «ماجي» عما كانت تفعله من فورها، حتى أنها سكبت كوب المياه الذي كانت تحمله.

-دلوقتي حد قرر يسمعني أخيرًا.

تحركت «ماجي» بالدكتور «صلاح»؛ بعيدًا عن الأنظار، وتساءلت.

-انت بتقول ايه يا دكتور، ماتقلقنيش الله يخليك!.

-لأ لازم تقلقي، أنا الدكتور اللي عالج «حلمي مهران» وخرجه من الكوما اللي كان كل الدكاترة شايفين انه مستحيل يفوق منها.

بتفاخر قالها الدكتور «صلاح»، بينما لم تتحمل «ماجي» الانتظار.

-خش في الموضوع يا دكتور، أنا أعصابي باظت.

-«حلمي مهران» لازم يواظب على العلاج، وده مش بيحصل، والنتيجة رعشة ايده

اللي بتزيد، وأكيد أخدتي بالك منها.

تذكرت «ماجي» صعوبة توقيع «حلمي مهران» على الأوراق، فهربت منها دمعة.

-دي أعراض مش كويسة، أنا فاهم ان «حلمي مهران» عايش على المسكنات، عشان يقدر يستحمل الوجع اللي في راسه من العملية.

-أنا عارفة ده.

قالتها «ماجي» التي كانت تعرف مواظبة «حلمي مهران» على تلك المسكنات التي يعتبرها البعض نوعًا من المخدرات.

-ده مش حل، وحالة «حلمي مهران» هتتأخر لو معملش عملية تانية وبسرعة.

-طيب ما نعملها مستنين إيه؟

ضرب «صلاح» كفًا على كف، ثم أضاف.

-أولًا محتاجين «حلمي مهران» نفسه يقتنع؛ لأن ده أول طريق العلاج، وبعد كدة بقى، العملية دي هتبقى مكلفة فوق الوصف.

-كام يعني؟

تساءلت «ماجي»، ليجيب «صلاح».

-ملايين!.

توقفت «ماجي» لحظة عن الحديث؛ ثم أجابت في شرود.

-وإيه يعني.

-ازاي؟

-ملكش دعوة! بس أرجوك يا دكتور خلي الموضوع ده سر بينا لغاية ما أنا اتصرف.

-وهو انتي متأكدة انك هتعرفي تتصرفي في مبلغ زي ده لوحدك؟

تساءل الدكتور «صلاح»؛ لتتوتر «ماجي»؛ ثم تجيب.

-أنا هاتصرف! مش هنقف على أي فلوس.

قالتها «ماجي» قبل أن تنتبه إلى وجود «وعد» فتوترت وعلقت.

-في حاجة يا مدام «وعد»؟

أُحرجت «وعد»، وبدأت تتحدث متلعثمة.

-معلش أنا آسفة مكنتش قاصدة أقلق حضراتكوا، بس فيه طفل تعبان وكنا عايزين نستغل وجود الدكتور «صلاح» مش أكتر.

تدخل الدكتور «صلاح» ليحل الأمر.

-آه طبعًا طبعاً، حالا أجي مع سيادتك يا هانم اتفضلي، عن إذنك يا «ماجي».

قالها واستأذن من «ماجي» التي ظلت في وادي آخر، والحزن قد توغل قلبها، فلقد كان «حلمي مهران» هو حلمها الذي عادت بسببه إلى الحياة، مشروع عمرها الذي

خصصت له كل مواردها، منذ أنقذها وبرأها من جريمة قتل الحادي والثلاثين من أكتوبر، منجيًا إياها من حكم أكيد بالإعدام، دون حاجته لأن ترد له المعروف، فلم يكن هدفه ماديًا أو حتى معنويًا؛ الأمر المخالف عن جميع الرجال الذين كانوا يهرعون خلف جمالها، وخلاف كل الأقربين الذين تخلوا عنها؛ وكان المقدم «هشام» على رأسهم حين صدق الاتهامات المقدمة نحوها في غضب وغيرة أثر ما كشفته التحقيقات أنذاك، قبل أن يندم مؤخرًا دون أن ينفعه الندم.

ظلت «ماجي» متوقفة لحظات؛ حابسة دموعها؛ ثم قررت الصعود إلى غرفة غريمتها «أمنية» تلك الفتاة الوحيدة التي أسرت قلب «حلمي مهران»، وصلت «ماجي» تلك الغرفة ودخلتها تختلس نظرات غِيرة، متسائلة كيف استطاعت «أمنية» خطف قلب بارد لم يزرع فيه أي نبات.

لحظات ظلت فيها تلامس أغراض «أمنية»؛ حتى وصلت إلى تلك الخزينة التي وضعها «حلمي مهران» في غرفتها دون غيرها، حتى تتوج تلك الغرفة بهذا العقد الماسي.

توغلت الغيرة داخل ضلوع «ماجي»، وبدأ الشيطان يهمس إليها خاصة لهذا الغرض النبيل الذي باتت تحتاج الأموال له، سمعت خطوات «هشام» مع «سلوى»؛ فأخذت تلك العصا الموضوعة خلف باب الغرفة، وهرعت إلى الخارج قبل لحظات من وصولهما، إلا أن «هشام» قد لمحها، قبل أن يصطدما!

***

-هو ده اللي حصل.

قالتها «ماجي» وهي تجلس أمام «حلمي مهران» في غرفة «سلوى»، فازداد توتره. شعر «حلمي مهران» بألم حاد يضرب جرح جبهته، فأمسك رأسه موجوعاً للحظة، ثم أسرع وأخرج من جيبه علبة دواء مسكن كان طبيبه قد منعه منه، وخطف قرصاً وابتلعه.

-«تاني يا «حلمي»؟!»

علقت «ماجي» بنبرة رفض واضحة لتعاطيه لتلك الأدوية التي يحظرها الكثيرون، قبل أن يتدخل بحزم، وعيناه تشتعلان:

-«بلاش تحكمي على حد وأنتِ مش حاسة بوجعه! أنا الوجع اللي بيجيلي لو اتجمعتوا كلكوا مش هتستحملوه!»

تراجعت «ماجي» خطوة، وهي تنظر إليه بعطف رفضه، فأكملت حديثها محاولة العودة إلى صلب الموضوع:

-«بعد كده بقى... إيه اللي حصل؟»

هز رأسه ببطء، وعاد إلى برود المعتاد:

-«مش مهم. أنا عارف اللي حصل بعد كده.»

قاطعها «حلمي مهران» من فوره، لتندهش «ماجي» تاركة له المجال.

-أنا عارف كل حاجة يا «ماجي».

-أومال بتحقق معايا ليه؟

مندهشة؛ تساءلت «ماجي» قبل أن يجيبها «حلمي مهران».

-كنت محتاج أسمع حكايتك، كنت محتاج اتأكد أن لسه فيه حد صادق ممكن نشيله همنا.

ظنت «ماجي» أنه يقصد حالته الصحية.

-متخافش يا «حلمي»، هتتعالج صدقني.

قالتها «ماجي» بنبرة مطمئنة، لكنه أجابها ببرود غريب وهو يرمق السقف:

-بس أنا مش عايز أتعالج.

رفعت حاجبها في دهشة:

-ليه بتقول كده؟!

رمق «حلمي مهران» السقف بنظرة شاردة، وكأنه يرى شيئاً لا تراه هي، ثم قال بهدوء يحمل نبرة خوف خفية:

-لو خفيت... ممكن ما أشوفش اللي بشوفه دلوقتي.

كان يشير إلى تلك الرؤى الغامضة التي تأتيه بين الحين والآخر، والتي لطالما ساعدته في حل أعقد قضاياه. لكنها سارعت بتصحيح تفكيره:

-أولاً، أنت مش محتاج اللي بتشوفه. أنت قوتك في عقلك، مش في الحاسة

السابعة اللي خايف عليها.

هز رأسه نافياً، وعادت نبرة الألم إلى صوته

-بس العملية دي هتبقى في عقلي ده يا «ماجي»!»

قالها، لتتوقف هي لحظة، تدرك عمق خوفه من فقدان جزء من ذاته قبل أن يتابع.

-صدقيني يا «ماجي» المرض اللي عنده علاجه مش عند الدكتور «صلاح».

-انت وترتني يا «حلمي»؛ ما تحكيلي في إيه؟

ابتسم «حلمي مهران» وعاد بظهره إلى الخلف على المقعد.

-هحكيلك ....بس المهم تفهميني....

***

(٨)

قبل الحادث

من عند الطبيب النفسي «علي»؛ كان «حلمي مهران» نائمًا أمامه على الشيزلونج؛ يرمق السقف ببرود قاتل؛ وهو يتحدث عن أعمق ما في قلبه من أسرار؛ لم يستأمن غيره عليها خاصة بعد أن تأكد من كتمان الرجل لأسرار مرضاه في قضيته الثانية التي رفض فيها كل طرق «حلمي مهران» للضغط.

-انت عارف السقف ده ينفع يتحط فيه مشنقة.

بهدوء مريب؛ قالها «حلمي مهران» الذي كشف وجهه الآخر أمام طبيبه الذي شعر بالتوتر وهو يرمق رعشة يد مريضِه.

-متخوفنيش منك يا «حلمي».

-مفيش حاجة تخوف، أنا مش بقتل غير اللي يستحق يموت...

-هو ده كدة اعتراف رسمي يا «حلمي»!.

تساءل «علي»، فلقد كان «حلمي مهران» يظن نفسه هذا القاتل المتسلسل الذي يقتل كل من يهرب من العدالة بتلك المشنقة المستلهمة من الحضارة المصرية القديمة.

-ما انت عارف يا دكتور اني عمري ما اتأكدت ان القاتل ده هو أنا، لكن أنا دايمًا

(٨)

قبل الحادث

من عند الطبيب النفسي «علي»؛ كان «حلمي مهران» نائمًا أمامه على الشيزلونج؛ يرمق السقف ببرود قاتل؛ وهو يتحدث عن أعمق ما في قلبه من أسرار؛ لم يستأمن غيره عليها خاصة بعد أن تأكد من كتمان الرجل لأسرار مرضاه في قضيته الثانية التي رفض فيها كل طرق «حلمي مهران» للضغط.

-انت عارف السقف ده ينفع يتحط فيه مشنقة.

بهدوء مريب؛ قالها «حلمي مهران» الذي كشف وجهه الآخر أمام طبيبه الذي شعر بالتوتر وهو يرمق رعشة يد مريضِه.

-متخوفنيش منك يا «حلمي».

-مفيش حاجة تخوف، أنا مش بقتل غير اللي يستحق يموت...

-هو ده كدة اعتراف رسمي يا «حلمي»!.

تساءل «علي»، فلقد كان «حلمي مهران» يظن نفسه هذا القاتل المتسلسل الذي يقتل كل من يهرب من العدالة بتلك المشنقة المستلهمة من الحضارة المصرية القديمة.

-ما انت عارف يا دكتور اني عمري ما اتأكدت ان القاتل ده هو أنا، لكن أنا دايمًا

بشوفه وهو بيصفي اللي بيختارهم.

-يعني لسه ممكن تكون مجرد رؤى زي اللي بتشوفهم، وتكون علاقتك بالقاتل مجرد تأثر، أو تماهي، أو حتى توارد خواطر، زي اللي بيحصل للتوأم.

قالها الدكتور «على»؛ في محاولة منه لرفض فكرة أن «حلمي مهران» هو القاتل الشهير في الشارع المصري ب«ابن اوى» نظرًا لتصفية ضحاياه بنفس طريقة المحاكمة المصرية القديمة، إلا أن «حلمي مهران» كان قد توصل لقناعة قطع فيها الشك باليقين.

-لا يا دكتور أنا مش هاضحك تاني على نفسي، أنا مش بس بشوف «ابن آوى»، لأ أنا برتب خطته، بافهم أسبابه اللي بيختار بيها، وبابقى هاضمها ومقتنع بيها، من جوايا بابقى شبعان وأنا بشوفه بيتخلص من شرهم، بحس براحة وهما مربوطين بالمشنقة اللي فيها وزن قد وزنهم بالضبط، عشان يفضلوا متعلقين فيها لغاية ما الريشة الأخيرة تتحط.

ابتسم «حلمي مهران» مستمتعًا؛ وهو يصف تلك التصفيات الدموية مضيفًا.

-باستمتع وأنا بشوف الريشة دي بتخليهم يفقدوا آخر أمل للحياة، والمشنقة هنا مابتكسرش رقبتهم.... لا، دي بتفضل مكلبشة في الرقبة لغاية ما يتخنقوا في دقيقة أو ساعة كاملة، كل واحد حسب أفعاله الوحشة في الدنيا.

ترك الدكتور «علي»، قلمه من هول التوصيف.

-بس انت كدة مش محامي يا «حلمي»، انت نصَّبت نفسك قاضي وجلاد كمان.

-ما أنا مش بتدخل غير في القضايا اللي محتاجة قاضي، شوف فيه كام واحد في الدنيا دي متاخد حقه، ومحتاج حد يجيبهوله، الدنيا دي محتاجة ألف قاضي، لأ مليون.... لأ يمكن أكتر.... كل قاتل أو حرامي أو خاين محتاج قاضي ورادع، وهنا يجي دور ابن آوى، يحكم وينفذ من غير تأجيل.

توقف «علي»، وتحرك ناحية «حلمي مهران».

-أنا آسف يا «حلمي» أنا مقدرش استحمل سر كبير زي ده، لو انت شايف نفسك «ابن آوى» يبقى لازم وجودك هنا يبقى مقرون بمحاولة للعلاج.

-العلاج من ايه؟!

تساءل «حلمي مهران» متهكمًا؛ وقد ترك الشيزلونج.

-العلاج من حب الانتقام يا «حلمي»، أنا مقدرش أتستر عليك بالشكل ده إلا لو ناوي تبطل.

-وأنا مش ناوي أبطل، أنا ناوي أكمل لغاية ما كل واحد يراجع نفسه قبل ما يقتل أو يسرق أو يخون، طول ما النفوس سوداء كدة، «ابن آوى» هيفضل موجود، وهيوزن القلوب، والقلب المليان بالمعاصي هيتقل على المشنقة، وياخد جزاءه!!

***

-هي دي حقيقتي بالضبط!.

قالها «حلمي مهران» الآن؛ معترفًا إلى «ماجي» بأخطر أسراره، لتظل هي متسمرة

على مقعدها في حالة يُرثى لها.

-يعني عشان كدة كنا نعرف أغلب ضحايا «ابن آوى»؟! أنا ازاي مشكتش فيك قبل كدة؟!

ابتسم «حلمي مهران» بفخر.

-عشان أنا أعمق من إني اأشاف يا «ماجي»، فهمتي بقى أن علاجي أصعب كتير من عملية الدكتور «صلاح»...

-بس ازاي يا «حلمي» بتقدر تعمل كدة؟!!

تساءلت «ماجي» المصدومة من هول اعتراف «حلمي مهران».

-معرفش، بس الأغرب أن دي أكتر حاجة باعرف اعملها، فهمتي ليه أنا ماينفعش أحب ولا اتحب، اللي زيي ربط مصيره بفكره، بيترافع بالقانون الصبح في المحكمة، وبيحقق العدالة بالليل بعيد عن المحاكم.

قالها؛ ثم اقترب من «ماجي».

-أنا عارف إنك خايفة عليا، وعارف صدق مشاعرك، بس لازم تواجهي نفسك بالحقيقة، «هشام» بيحبك، وانتي كدة كدة هتحبيه، ده الحل الأمثل في قضيتك.

-وقضيتك؟

ابتسم «حلمي مهران»، وهو يرمق النافذة.

-هتتقيد ضد مجهول.

في يأسٍ؛ حاولت «ماجي» الاقتراب من «حلمي مهران» بمشاعر مختلفة، فرغم نفورها من حقيقته، إلا أن اعترافه لها دون غيرها كان بمثابة إثارة لها.

-هو انت ليه حكيتلي أنا؟

-معرفش! بس يمكن لازم يكون حد عارف، أو يمكن عشان النهاردة «حلمي مهران» خسر أول قضية.

لم تستوعب «ماجي» إلى ماذا يرمي «حلمي مهران».

-أنهي قضية؟ العقد؟ انت مش بتقول عارف اللي حصل بعد كدة، يعني عارف مين اللي سرقه.

-طبعًا عارف، بس مش كل حاجة بتتعرف بتتقال يا «ماجي».

قالها؛ ثم اقترب من «ماجي» بطريقة مخيفة إلى حد ما.

-انتي أكيد فاهماني يا «ماجي».

ابتلعت «ماجي» ريقها؛ وهي تشعر بشيء من الخوف.

-متخوفنيش منك أكتر من كدة يا «حلمي».

تراجع «حلمي مهران» إلى الخلف، وهو يقول:

-عمومًا زي ما قلتلك أنا عارف ان ملكيش علاقة باللي حصل، يمكن فكرتي، لكن

مقدرتيش، والعصاية اللي معاكي ملهاش علاقة باللي حصل، اللي عمل كدة كان مخطط من قبلها، فصل الكاميرات، وقطع الكهرباء، وكان مجهز كل حاجة.

-يعني اللي عمل كدة كان عارف الملجأ كويس؟

أجاب «حلمي مهران» بالإيجاب، لتتابع «ماجي».

-يعني محدش غيري أنا وأنت و«هشام»...

قالتها «ماجي» مندهشة قبل أن يظهر صوت طرق الباب من الخارج، فتوقف «حلمي مهران» عن الحديث، وأعطى الإذن للقادم بالدخول، ليجد الخال «فتحي» قادمًا من الخارج متوترًا.

-معلش يا «حلمي» يا ابني أنا عايزك ضروري.

لاحظت «ماجي» أهمية الأمر، فوقفت تستأذنهما.

-طب أنا هستناكوا برة.

لم يستطع «حلمي مهران» منعها؛ فلقد كان الخال «فتحي» يخفي شيئًا عظيمًا، فانتظر «حلمي مهران» حتى خرجت «ماجي» ثم سأله:

-في ايه يا خال «فتحي»، شكلك وراك حاجة؟

-هحكيلك...

***

كان الخال «فتحي» جالسًا وسط الجميع؛ حتى وجد هذا البريق القادم من أعلى، فتوقف في فضول يستكشف حقيقته، فوجد الهانم من أعلى السلم؛ تنزل في هدوء شديد، فتسمر وانتظر قدومها، حتى وصلت إلى الطابق الأرضي، فأشارت إلى الخال «فتحي» فهو من يراها، ثم توجهت إلى غرفة الطعام، ومن خلفها هو يتبعها، نزولًا إلى الطابق السفلي حيث انتظرت هي قدومه وسط الردهة، ليصل «فتحي» إليها، ويجدها تقف عند باب المعمل، فأسرع «فتحي» وفهم رسالته وهَمَّ ليفتحه، إلا أنها منعته، فاندهش «فتحي» وهو يرمق نظرتها، ففهم أنها ترمي إلى شيء ما، فالتف ليجد فعلًا «فؤاد» عند السلم، فانزعج «فتحي» وسأله:

-في حاجة يا ابني؟

توتر «فؤاد»؛ ولكنه ظل يقترب؛ فبدأ القلق يساور «فتحي» حتى خرج «حجاب» من المطبخ للتو ممسكًا بسكين ما.

-محتاج حاجة يا خال «فتحي»؟

رمق «فؤاد» السكين؛ فتراجع من فوره وهم بالصعود، ليبتسم «فتحي» إلى «حجاب» ثم يفتح الباب، ليجد الهانم متوقفة عند أحد المكاتب، فتقدم «فتحي»؛ وفتح درجه ليسرع البريق وينتشر في فراغ المعمل كله..

***

-هو ده بالضبط اللي حصل.

قالها «فتحي» وهو يعطي العقد إلى «حلمي مهران» الذي أمسكه ليسحره بريقه، فينظر إلى الخال «فتحي» وهو يقول:

-قولي يا خال «فتحي»، هو أنا أقدر أطلب منك خدمة عمري.

توتر الخال «فتحي» الذي كان ينتظر شيئًا غريبًا على لسان «حلمي مهران»...

وقد كان!

***

من الخارج كانت «ماجي» لا تزال ترمق «هشام» بنظرات شك وريبة، كما كان المكان مليئًا بالتوتر والملل.

-أنا هامشي خلاص مش هاقدر استحمل.

قالتها «سالي»؛ وهي تهم بالخروج فاستوقفها «هشام»، وكاد أن يحتد عليها؛ إلا أن باب غرفة «سلوى» فتح، وخرج «حلمي مهران» ومن خلفه «فتحي» في حالة وُجُوم.

-سيبها يا «هشام» خلاص، كدة كدة الوقت خلص.

قالها وهو ينظر إلى ساعة يده ؛التي أشارت إلى انتهاء الساعات الثلاثة.

-طيب تمام، ها مين بقى اللي سرق؟ وفين العقد؟

بشغف تساءل «هشام» ليتوقف الجميع في حالة صمت وترقب؛ وعلى رأسهم «وليد» ينظر إلى والده في فخر.

-معرفش.

قالها «حلمي مهران»؛ إلا أن أحدًا لم يصدقه، فابتسمت «ماجي» مازحة.

-ما بلاش هزار بقى يا «حلمي»؛ كلنا عارفين إنك عرفت مين اللي سرق في أول ساعة.

-ليه يعني هو أنا ساحر!

علق «حلمي مهران» مع زيادة رعشة يده، ليبدأ الجمع في تصديق خيبة الأمل تلك.

-ازاي يا بابا؟

-عادي، جه الوقت إنك تعرف إن مفيش حد مننا يقدر يحقق كل حاجة طول الوقت، في قضايا بتتحل وقضايا تانية بتتقيد ضد مجهول، دي سنة الحياة.

دمع «وليد»؛ رافضًا الفكرة.

-لأ يا بابا، انت مختلف، أنا مش مصدقك...مش مصدقك.

قالها وصعد إلى أعلى؛ بينما نظر «حلمي مهران» إلى «هشام» في انكسار قائلًا.

-أنا آسف خيبت ظنك، تقدر تطلب زمايلك ييجي ياخدوا أقوال الناس، يمكن يعرفوا يحلوا إللي أنا مقدرتش عليه.

منكسرًا؛ قالها «حلمي مهران» ثم هم بالخروج؛ فاستوقفته «ماجي» إلا أنه أضاف:

-كملوا انتوا، أنا محتاج أشم هواء شوية.

تركته «ماجي»؛ في دهشة من انكساره، قبل أن تلتفت إلى الخال «فتحي»؛ الذي أخفى بسُكوته الكثير، فتوجهت إليه ومن بعدها «هشام» الذي تساءل:

-انت قلتله إيه جوا يا خال؟

-ولا حاجة! «حلمي مهران» قالها مش كل قضية مكتوب لها حل، في قضايا الأحسن تتقيد ضد مجهول.

شعر هشام باليأس، واضطر إلى الاتصال بالضابط الذي غادر منذ قليل، وهو يرمق صديقه يغادر في انكسار لم يعهده عليه.

وصل «حلمي مهران» إلى دراجته النارية، وبدأ يتحرك بها دون خوذة كعادته بجرأته المعهودة بحثًا عن الحرية؛ دون أن يهاب شيئًا؛ فلقد عاد يومًا من الموت، ولم يعد يهابه منذ هذا الحين مؤمنًا أن الله قد أعاده لحكمة لا يزال يبحث عنها، ثم توقف جانبًا حين ابتعد عن الأنظار، وأخرج هذا العقد من جيبه يتأمل بريق ماساته التي سحرته مستمعًا وكأنه صار مهووسًا بانعكاساتها، التي زادت فور أن مرت سيارة مضيئة مصباحها فأسرع وأخفى العقد في جيبه مرة أخرى؛ وهو يلاحظ رعشة يده متذكرًا حديثه مع «ماجي»؛ حول حديث الدكتور «صلاح» وتلك العملية المكلفة التي قد يحتاجها «حلمي مهران» والذي لم يكن يمتلك الكثير من المدخرات، حيث كان يتبرع بكل ما يمتلك إلى الملجأ أولًا بأول!

وصل «حلمي مهران» إلى عيادة طبيبه النفسي «علي»؛ فصف دراجته وترجل صعودًا إليه؛ طابقًا تلو الآخر حتى وصل إليه، فبدأ طرق الباب حتى فتح الساعي الباب على

استحياء.

-معلش حضرتك! الدكتور مش هنا.

-أيوة أنا فاهم، أنا بس جاي أخد مفاتيحي عشان نسيتها في مكتبه.

رمقه الساعي متذكرًا وجوده ثم تردد قائلًا:

-معلش طيب أنا لازم أكلم الدكتور الأول.

-أكيد بس بسرعة لأحسن أنا مستعجل.

أومأ الساعي برأسه، وأخذ الهاتف واتصل بالدكتور «علي»، ولكن هاتفه كان خارج نطاق الخدمة.

-تليفونه مش مجمع، شكله سافر خلاص، أصله واخد أجازة أسبوعين.

-ما عشان كدة قالي آجي أنا.

تردد الساعي؛ ثم وافق بعد ان لاحظ ثقة «حلمي مهران»، ولكنه وافقه تابعًا إياه إلى غرفة الدكتور «علي» وفتحها؛ فدخلها «حلمي مهران» الذي كان يرغب في التأكد من شكوكه، وبدأ بحثًا وهميًّا داخل الغرفة، حتى أسرع واتجة ناحية المكتب وفتح أدراجه.

-انت بتعمل ايه يا حضرة!

في غضب تساءل الساعي، ليجيبه «حلمي مهران» بهدوء بعد أن وجد كل الأدراج خالية.

-ولا حاجة افتكرت الدكتور لاقاها وسابها.

اندهش الساعي هو الآخر من خلو الأدراج، ثم أكمل «حلمي مهران» بدهائه.

-طيب ممكن انت تشوف في أدراج المكتبة؛ وأنا هستنى برا عشان الخصوصية.

بأدب مبالغ؛ قالها «حلمي مهران» فاتجه الرجل وفتح أدراج المكتبة، وهو يدخل يده يبحث عن أي شيء، فأدرك «حلمي مهران» أن المكتبة قد فرغت من كل ما كان فيها.

-مفيش حاجة خالص.

قالها الساعي إلا أن «حلمي مهران» كان قد غادر بالفعل.

***

وصل «حلمي مهران» إلى مياه النيل التي يهواها، ورصف دراجته، وترجل يملأ صدره بهواء القاهرة الهادئ في تلك الساعة المتأخرة، ثم أخرج العقد مرة أخرى يرمق لمعان ماساته، مستمتعًا نظرًا لخلو المكان من الفضوليين، لحظات أمتع فيها «حلمي مهران» عيناه؛ حتى سمعه من الخلف يتهكم.

-سحرك العقد بلمعته!.

التفت «حلمي مهران» ليجده هناك؛ قد جاء حسب الميعاد المتفق عليه.

-متخافش كلنا بنضعف، احنا مش ملايكة.

-ولا المفروض نبقى شياطين!.

أضافها «حلمي مهران».

-ليه بتصعبها على نفسك، مش معنى إنك انهزمت للشيطان مرة إنك بقيت زيه.

-شايف الفرحة في عنيك!.

علق «حلمي مهران»:

-مقدرش أنكر إني شمتان فيك، القدوة اللي كان كله فرحان فيه، يسرق العقد بنفسه من الأيتام، سبحان مغير الأحوال!.

-دوام الحال من المحال.

في هدوء؛ قالها «حلمي مهران» الذي حاول التماسك.

-بس صدقني الحال بخمسين مليون جنيه حاجة تانية خالص.

-أنا الفلوس آخر همي.

أجاب «حلمي مهران».

-وأنا كمان، أنا آخر همي الفلوس، أنا كفاية عليا اللي شوفته النهاردة بعيني واستمتعت بيه.

-للأسف انت عمرك ما هتفهمني.

(٩)

بعد الحدث حين كان «حلمي مهران» يحقق مع «فؤاد» علق الأخير قائلًا:

-هو ده اللي حصل بالضبط.

قالها «فؤاد» إلى «حلمي مهران» الذي بات يستمع إلى قصة مختلفة عن شرح «تيم».

-حتى تقدر تسأل «حنان» نفسها وتتأكد.

لم يُجب «حلمي مهران»؛ وأخرج من جيبه مكعب روبيك الذي بدأ يحركه بشكل سريع.

-ها محتاج مني حاجة تانية؟!.

-هو انت عامل إيه مع «وعد»؟

-أفندم!!

ظهر السخط على «فؤاد»؛ بينما أكمل «حلمي مهران».

-مراتك... طليقتي عامل إيه معاها؟

وقف «فؤاد» والحقد يملأ قلبه.

-أكيد الإجابة عندك يا بطل الأبطال، أنا بتعب وأشقى واعمل كل حاجة، لغاية ما

سيادتك تظهر وتخطف الفرحة من قلبها في لحظة....

اقترب «فؤاد» من المكتب، وانحنى ليقترب من «حلمي مهران» مضيفًا.

-السؤال هنا، هل انت مبسوط باللي وصلناله، أو بمعنى أصح، هل انت مبسوط مع مراتي؟؟

وقف «حلمي مهران» في تحدٍّ ل«فؤاد»؛ وقال بحزم:

-وهو انت لو عايز تكسبها؛ تكسبها برجولتك ولا بالسرقة يا «فؤاد»!!!

***

فتح «هشام» باب المبنى، وتوجه ناحية الباب الخارجي؛ وهو البوابة الوحيدة للسور العالي الذي يحمي الملجأ؛ بينما أسرع «حلمي مهران» الذي تحرك معه «فؤاد» و«تيم» دون غيرهما مترجلين إلى غرفة الطعام، ومنها إلى أسفل، وفور نزولهما تباطأ «حلمي مهران» للحظة؛ عندما شاهد كسرًا في لوحة مخصصة لمطفأة الحريق، فبدأ يفتشها، فجُرحت يداه من زجاج اللوحة المكسور.

-معلش اسبقوني انتوا يا رجالة.

قالها؛ فلم يكترث «فؤاد» به؛ بينما توقف «تيم» لحظة يحاول الاطمئنان على الرجل، ولكنه لم يجد الكلمات المناسبة؛ فتبع «فؤاد» إلى المطبخ الذي كان ثالث باب على الناحية اليمنى، فدخل «فؤاد» وبعده «تيم»؛ حيث كان «فؤاد» يعرف المكان جيدًا، رغم أنه من المفترض قد جاءه للمرة الأولى!!

***

من مكتب «سلوى»؛ جلس «فؤاد» ينظر أرضًا؛ بينما تابع «حلمي مهران» وضع اتهامه حين كان يحقق معه!

-تقدر تقولي ازاي وانت متعرفش الملجأ، عرفت مكان باب الجنينة والمطبخ فين من غير تردد.

بفخر؛ قالها «حلمي مهران»؛ الذي استطاع حل القضية في دقائق معدودة قبل أن يضيف.

-أنا أصلًا كنت عارف من الأول، بس حبيت أتأكد، أصل انت مشوفتش وشك أول ما عرفت ان «سلوى» ماتت، لو حد غيري كان لمح وشك مكنش شك لحظة.

صفق «فؤاد» للتو.

-أنا كنت اسمع إنك ذكي، بس الصراحة مكنتش أتخيل أنك ذكي للدرجة دي.

التف «حلمي مهران» حول مكتبه؛ وهو يتابع.

-عشان مجربتنيش بس يا «فؤاد»، لكن اللي يعرفني عارف أنا ممكن أشوف إيه!

***

قبل الحادث

حين كان «فؤاد» يتصنت على حديث «حنان» و«تيم» من غرفة الأرشيف، ثم

ادعى «فؤاد» التوتر من الحديث، وفتح الباب من فوره.

-انت بتعمل إيه يا حيوان!

قالها «فؤاد»؛ بينما التفت «تيم» مدافعًا عن نفسه.

-وانت مال أهلك، ما تروح تتشطر على مراتك.

-لأ ده انت كمان قليل الأدب، ومحتاج تتربى!.

علق «فؤاد» الذي كان ينفذ خططه لافتًا الكثير من الأنظار؛ وسط ذهول «حنان»، ليبدأ كل منهما ملاكمة الآخر، بينما من أعلى كانت «سلوى» قد شعرت بهوس أنثوي، حين رأت العقد فلم تستطع أن تُسيطر على نفسها، فتوقفت لحظة، وتوجهت إلى المرآة، وهَمَّت لتضع العقد على رقبتها في لحظة بدأ فيها صوت الحضور من أسفل في التصاعد، حيث كان «فؤاد» يتعمد أن يسمعه الجميع، إلا أن سحر العقد صم أذنيها عن سماع هذا الهرج والمرج القادم من أسفل؛ بينما من خارج الغرفة زاد توتر «هشام» من صوت حركة الأقدام النسائية الواضحة، حتى أنه كاد يشعر بظهور الهانم من أمامه، ولكنها كانت «ماجي» تسرع في الاختفاء، فأخرج رشاش الرذاذ، ومع الظلام رشَّه؛ إلا أن «ماجي» صدمته؛ فوقع الرذاذ في عينه فعطله!

من الداخل؛ وفور أن لامس العقد رقبة «سلوى»؛ حتى انكشف الستار فجأة عن الهانم نفسها من خلفها، تقف لها متوعدة وهي في كامل تأنقها، لتصرخ «سلوى» التي عرفتها من فورها في نفس اللحظة التي استغلها «فؤاد» ضاغطًا على هذ الزر الذي زرع تحكمه في لوحة الكهرباء، لتنقطع الكهرباء؛ ويبدأ الجميع في التوتر مع صراخ

الأطفال، ليحاول الجميع السيطرة على الأطفال مع إضاءة مصابيح هواتفهم، ليستغل «فؤاد» الموقف، ويرتدي نظارته الرقمية، ويخرج عصا زوجته التي أخذها من حقيبتها، صعودًا إلى أعلى بحركة سريعة ولكنها هادئة، حتى وصل إلى الطابق الثالث؛ حيث كان «هشام» ممسكًا بسلاحه.

-أقف عندك.

قالها «هشام» وهو يرمق شخصًا ما، إلا أنها هرعت ناحيته لتدفعه، فعرف «هشام» من رائحة عطرها أنها «ماجي» فأنزل سلاحه، بينما انتظر «فؤاد» نزولها من جواره بسرعة، ثم هم إلى «هشام» مستغلًا تألم عينيه، وأخرج عصاه الصغيرة التي تمتد لتصبح أكثر صلابة، ثم توجه إلى «هشام» الذي ظنها «ماجي» تعود، فأسرع وضربه على رأسه ليسقط، ثم توجه إلى الداخل حيث كانت «سلوى» قد سقطت من نفسها غائبة عن الوعي تلقائيًا؛ فأخذ هو العقد، وغادر غير منتبه إلى وجود «الهانم» التي كانت تراقبه من الظلام!

***

-كل ده من الحاسة السابعة؟

تساءل «فؤاد» بعدما سمع رؤية «حلمي مهران» التي كانت صائبة إلى حد كبير.

-مش مهم الحاسة السابعة، المهم ده!.

قالها «حلمي مهران»؛ مشيرًا إلى عقله، ثم تابع.

-عشان كدة متبقي عندي سؤال واحد عايز اتأكد منه.....مين اللي عرفك بكل تفاصيل الملجأ.

ابتسم «فؤاد» بقوة غريبة؛ جعلت «حلمي مهران» يتأكد من شكوكه؛ بينما بدأ «فؤاد» في التفاخر بشريكه ممسكًا هاتفه ليدير تسجيلًا صوتيًا مميزًا.

***

-هو ده كدة اعتراف رسمي يا «حلمي».

تساءل الدكتور «علي»، فلقد كان «حلمي مهران» يظن نفسه هذا القاتل المتسلسل الذي يقتل كل من يهرب من العدالة بتلك المشنقة المستلهمة من الحضارة المصرية القديمة.

-ما انت عارف يا دكتور إني عمري ما اتأكدت إن القاتل ده هو أنا، لكن أنا دايمًا بشوفه وهو بيصفي اللي بيختارهم.

-يعني لسه ممكن تكون مجرد رؤى زي اللي بتشوفهم، وتكون علاقتك بالقاتل مجرد تأثر أو تماهي أو حتى توارد خواطر، زي اللي بيحصل للتوأم.

قالها الدكتور «علي»؛ في محاولة منه لرفض فكرة أن «حلمي مهران» هو القاتل الشهير في الشارع المصري ب«ابن اوى» نظرًا لتصفية ضحاياه بنفس طريقة المحاكمة المصرية القديمة؛ إلا أن «حلمي مهران» كان قد توصل لقناعةٍ قطع فيها الشك باليقين.

-لأ يا دكتورا أنا مش هاضحك تاني على نفسي، أنا مش بس بشوف «ابن آوى»، لأ أنا برتب خطته، بافهم أسبابه اللي بيختار بيها، وبابقى هاضمها ومقتنع بيها، من جوايا بابقى شبعان وأنا بشوفه بيخلصنا من شرهم، بحس بالراحة وهما مربوطين بالمشنقة اللي فيها وزن قد وزنهم بالضبط، عشان يفضلوا متعلقين فيها لغاية ما الريشة الأخيرة تتحط.

ابتسم «حلمي مهران» مستمتعًا؛ وهو يصف تلك التصفيات الدموية مضيفًا.

-باستمتع وأنا بشوف الريشة دي بتخليهم يفقدوا آخر أمل للحياة، والمشنقة هنا مابتكسرش رقبتهم..... لأ.....، دي بتفضل مكلبشة في الرقبة لغاية ما يتخنقوا في دقيقة أو ساعة كاملة، كل واحد حسب أفعاله الوحشة في الدنيا.

***

أغلق «فؤاد» التسجيل للتو؛ ليتأكد «حلمي مهران» من خيانة طبيبه النفسي، الذي حثَّه على إحضار الجميع بالفعل حين قال:

«ما هو عشان كدة طلبت منك تعمل الحفلة دي؛ حبك لليتامى دول لازم يخدمهم، وانت لازم تفتحلهم الباب، انت عندك أسرار كتيرة يا «حلمي»»

شعر «حلمي مهران» بالغدر؛ فلم يستطيع التحكم بنفسه؛ وجلس على كرسيه يتمالك نفسه؛ مع رعشة يده وهو يتذكر رسالة الهانم مع الخال «فتحي».

«خلي «حلمي مهران» ياخد باله، ومايحكيش سره لحد، حذره من أقرب الناس ليه؛

المرة دي الضربة جاية في مقتل»

شعر «حلمي مهران» بدقات قلبه تتسارع؛ بينما أكمل «فؤاد» حديثه بفخر:

-«حلمي مهران» موجوع!، الله!!! أخيرًا شوفتك مكسور كدة، أومال هتعمل إيه لما تسمع التفاصيل كلها، ده أنا كنت مستني الفقرة دي من الصبح.

***

-مش معقولة كدة، ده بقى بيطلعلي في كل حتة.

علق «فؤاد» للدكتور «علي» الذي كان هو الآخر يتلقى العلاج النفسي عنده، شاكيًا الرجل الذي لم يعد له القدرة على منافسته.

-أنا حقيقي محتاج أوقفه عند حده.

-لسه بدري يا «فؤاد»؛ أنا لسه محتاج «حلمي».

قالها «على» من خلف قناعه؛ قبل أن يبدأ جلسته مع «فؤاد» الذي ظل يشكو من مرارة تعلق زوجته «وعد» بطليقها «حلمي مهران»؛ الأمر الذي جعل منه هذا الشخص الثائر الذي يحتاج إلى العلاج بالفعل.

-عمومًا يا «فؤاد» مفيش عندك جديد، بس كل اللي أوعدك بيه إني هخليك تاخد حقك من «حلمي» بس في الوقت المناسب.

قالها «علي» ناهيًا جلسته؛ ليغادر «فؤاد» عائدًا إلى بيته؛ ليصفّ سيارته وهو يرمق

دراجة «حلمي مهران» النارية متوقفة بتعامد عند مدخل عقار منزله، ليزداد غضبه وهو يصعد في ثورة، ولكنه يجد باب شقته مفتوحًا، فدخل ليجد «حلمي مهران» في الداخل مع ابنه «وليد»، ليهدأ نسبيًا وهو يطلب من «وليد» الدخول:

-«وليد» يا حبيبي! ممكن تدخل أوضتك، أنا عايز باباك شوية.

توقف «حلمي مهران» ممسكًا بابنه؛ وهو يقترب من «فؤاد»:

-وهو فيه حاجة ممكن تعوزني فيها مش عايز تقولها قدام ابني.

-بلاش تدخل العيال في اللي بينا يا «حلمي».

قالها «فؤاد» في لحظة خروج زوجته «وعد» من الداخل تمسك ابنتهما «إيمان»، ليقترب «حلمي مهران» أكثر من «فؤاد» ليهمس في أذنه:

-مش معنى إني مسلمتش عليك عند دكتور «علي» إني ما شوفتكش.

قالها «حلمي مهران» مشيرًا إلى رؤيته ل«فؤاد» عند عيادة الدكتور «علي» الذي يتردد عليها.

***

-فاكر أنا اليوم ده يا «حلمي»، كنت انت في قضية صاحبك «الديب» صح؟

تألم «حلمي مهران» حين تذكر صديقه الراحل، قبل أن يتابع «فؤاد» حديثه في فخر.

-بس انت بقى متعرفش فرحتي لما كلمني الدكتور «علي» عشان يفهمني هنعمل إيه...

***

من عيادة الدكتور «علي»؛ ظهر «فؤاد» يستمع إلى خطة هذا الرجل الذي صبر كثيرًا لمثل هذا المكسب الذي يتعدى الخمسين مليونًا.

-أنا هاقنع «حلمي» يعمل حفلة للملجأ، يعزم فيها كل حبايبه.

-وهو أنا من حبايبه برضة يا دكتور؟

تساءل «فؤاد» مندهشًا؛ ليجيبه الدكتور «علي» بدهاء.

-ما هو هنا هييجي دور النخوة بتاعتك.

***

-يا بابا واضح إن الموضوع كله جه بسرعة، وبعدين أنا ميصحش أروح لوحدي يعني.

قالتها «وعد» حينها فأجابها والدها.

-ما انتي معاكي ابنك «وليد» ربنا يخليهولك!.

قالها في لحظة دخول زوجها الحالي «فؤاد»؛ الشاب في أواخر الثلاثينات؛ والذي يمتلك جسدًا ممتلئًا يجعله أكبر من عمره، إذ اخترقت التجاعيد بشرة وجهه البيضاء، كما تساقط الكثير من شعر رأسه البني الذي كان مصدر جاذبيته؛ إلى جانب عمله

كفنان ينحت التحف الفنية.

-تروحي فين لوحدك مش فاهم!

***

-كدة محدش هيشك فيك، لأنك أساسًا مش معزوم، والأهم ماتعرفش حاجة عن العقد، لإن مفيش غيري «حلمي مهران» استأمنه على السر ده، بعد «سلوى»!

ضحك الدكتور «علي» بشيطانية؛ قبل أن يضيف.

-بس أنا أقنعته يحكي ل«ماجي» و«هشام».

ابتسم «فؤاد» معلقًا.

-عشان يلاقي حد يشك فيه.

-أنا عايزه يخسر كل الناس، بالطريقة دي هيحتاس.

-طب وأنا هاعرف تفاصيل الملجأ ده ازاي؟

تساءل «فؤاد»؛ ليبتسم الدكتور «علي» للتو.

***

من غرفة «سلوى» كان الدكتور «علي» من أمامها الآن خلف قناعه يحاول التحدث بشكل معسول، ومن أمامه مبلغ خمسون ألف جنيه.

-والله يا فندم احنا متشكرين أوي على التبرع السخي ده، بس أكتبه باسم مين؟

-لأ مش مهم، أنا مش عايز حاجة.

-والله يا فندم يا ريت كل الناس زي حضرتك كدة.

ابتسم «علي»؛ وهو يقول بشيء من الطيبة المفتعلة.

-أنا بس لو أمكن عايز آخد فكرة عن المكان، عشان اشوف محتاج إيه التبرع الجاي.

-لأ حيث كدة؛ أنا هفرج سيادتك على كل متر في الملجأ كله.

نجح «علي» في خطته بسهولة تامة، قبل أن يضع في مكتب «سلوى» هذا الجهاز التسجيلي الصغير.

***

من مكتب «سلوى»؛ وضع «حلمي مهران» يده أسفل المكتب ليتأكد أن هناك هذا الجهاز المزروع هناك؛ ليبتسم «فؤاد» وهو يتابع.

-دلوقتي بقى أنا هاخرج عشان طوِّلنا أوي، وهستنّاك تشوف طريقة تخلص فيها المسرحية دي، وتطلعلي العقد بنفسك برا على النيل مطرح ما هبعتلك اللوكشن، وطبعًا ده لو محصلش، أو أنا لو مطلعتش من هنا، طبعًا الدكتور «علي» هينشر كل حاجة ليها علاقة ب«ابن آوى» عشان الناس كلها تعرف أن للمحامي المرموق المشهور «حلمي مهران» وش تاني مخبيه، بس وش قبيح، حقيقة مرعبة لقاتل مابيشبعش غير

بالدم، وطبعًا أول حد هيعرف ده هيبقى «وليد» ابنك اللي أذكى من إنه ميصدقش.

***

من عند النيل؛ توقف «فؤاد» في فخر؛ وهو ينظر إلى نظرة انكسار «حلمي مهران»؛ وهو خاضع له ممسك العقد الذي أخذه «فؤاد» بلهفه.

-زي ما قلتلك يا «حلمي» أنا هدفي مكنش الفلوس، أنا بس كنت عايز أشوفك مكسور كدة.

-مش معنى إني خسرت مرة، إنك تشمت، انت لو تعرفني كويس كنت فكرت ألف مرة قبل ما تعمل اللي في دماغك ده.

-صدقني أنا فكرت كتير، بس للأسف انت عمرك ما اديتني فرصة أكسب مرة واحدة، مكنش قدامي غير إني أكسرك، آه صحيح!!! ابقى روح الملجأ البوليس لسه بيسأل عليك، يلا....سلام يا «حلمي»....

قالها «فؤاد»؛ وهو يغادر تاركًا «حلمي مهران» إلى وحدته مع مياه هذا النيل الخالد... بينما ذهب إلى هذا المكان الذي كان ينتظره فيه الدكتور «علي»؛ في مكان ناءٍ بعيدًا عن كل الأنظار، في منطقة «عرابي» داخل فيلا استأجرها «علي» لبضعة أيام قبل أن يهم بالسفر.

وصل «فؤاد» عند باب الفيلا، فبدأ «علي» يتأكد من هويته عبر الكاميرات المزروعة عند البوابات، ثم فتح له البوابة الخارجية، ليدخل «فؤاد» بسيارته ،ويصفها بالداخل؛

بينما خرج الدكتور «علي» وأحسن استقباله إلى الداخل، في فضول رهيب، حتى دخلا وأخرج «فؤاد» من جيبه العقد الذي سحره هو الآخر ببيرقه.

-مكنتش متخيل إنه بالجمال ده! ده يخطف القلب والروح.

-الصراحة أنا مشوفتش كدة، العقد فعلًا فيه حاجة، كأنه مسكون بروح بتتكلم، كل ما تبصله.

قالها «فؤاد»، وهو يشرد في جمال العقد.

-طيب قولي يا بطل جبت الرقم من على تليفون «سلوى»؟

***

دخل «فؤاد» بنظارته الرقمية إلى غرفة «أمنية»؛ فوجدها «سلوى» بالداخل مستلقية على الأرض، فأخذ العقد الموضوع إلى جانبها، ثم أخرج هاتفها ووضع بصمة يدها على الهاتف وفتحه، قبل أن يتوغل إلى سجل المكالمات، ليجد رقم الخواجة «جون» الذي دوَّنه في هاتفه، من ثَم أخذ الهاتف نفسه، وخرج مغادرًا.

***

-أنا مش بس جبت رقم التليفون؛ أنا جبت التليفون نفسه.

ابتسم الدكتور «علي»؛ وهو يمسك هاتف «سلوى».

***

من الملجأ؛ كانت «سلوى» ممسكة الهاتف تتحدث إلى «جون» في توتر تحاول الابتعاد عن الأنظار، تتأكد كل لحظة من خلو المكان بالخارج من الأطفال.

-أيوة يا خواجة، زي ما بقولك عقد شكله قديم.... لأ مجاش هنا لسه..... مش عارفة هقدر ابعتلك صورته ولا لأ.....يا خواجة «جون» أنا طول عمري ببعتلك كل تحركات «حلمي مهران» وعمري ما اتأخرت..... بس دي مسؤولية أكبر مني..... عايز تشتريه ازاي!!!..... لأ دي كدة مسألة مختلفة..... لو رسمي هحاول اتصرف قبل ما نعرضه للبيع، بس طبعًا ليا حسنتي.....

قالتها غير منتبهة إلى هذا المسجل الموضوع أسفل مكتبها؛ والذي كان يسمعه الدكتور «علي» من عيادته بالطبع!

***

-والله يا دكتور أنا مش على راسي بطحة ولا حاجة، وانت عارف أني معملتش كدة عشان الفلوس، أنا كنت بحمي عيلتي من واحد كل همه الغرور.

قالها «فؤاد»؛ الذي كان مؤمنًا بمبدأ كاذب، ليبتسم الدكتور «علي» وهو يقول.

-يعني مش عايز ال٢٥ مليون جنيه بتوعك؟

تلعثم «فؤاد» للحظة؛ ثم تابع قائلًا:

-والله هو أكيد يعني الفلوس دي هتفرق معايا، لكن زي ما قلتلك عمرها ما كانت هدفي، أنا راجل فنان قبل أي حاجة، وحتى السرقة دي كانت لوحة فنية خططت لها

بمنتهى الحرفية، بس معرفش ازاي «حلمي مهران» كشفها.

توتر الدكتور «علي»؛ وهو يتسائل:

-هو «حلمي مهران» كشفك؟

-متخافش أنا عملت اللي اتفقنا عليه، وهو نفسه اللي جاب لي العقد لغاية عندي.

ابتلع الدكتور «علي» ريقه؛ وهو يقول:

-مفيش فايدة في «حلمي» عمره ما ريحني، عمومًا أنا هكلم الخواجة ده بسرعة، ولو فعلًا العقد يهمه، يبقى هنخلص من المسؤولية دي بسرعة.

-ولو مهموش؟

تساءل «فؤاد» مهتمًا بقيمة العقد فجأة.

-متخافش، عقد زي ده مش هنغلب في بيعه، بس المهم نلاقي اللي يقدر.

قالها الدكتور «علي»؛ وهو يخلع قناع وجهه المُشوة لينزعج «فؤاد» الذي لم يره من قبل.

-هو ده وشي الحقيقي يا «فؤاد»؛ ورغم الوجع اللي أنا فيه، كنت دايمًا بسمع مشاكلكوا رغم إن محدش منكوا عاش الوجع اللي أنا عيشته قبل كدة.

قالها الدكتور «علي»؛ وهو يلتف يرمق نفسه في المرآة واضعًا يده على تلك الإصابة التي أصيبها في قضية «الوحي» التي لا يزال يحاول الانتقام فيها بمساعدة «حلمي

مهران» يومًا ما، إلا أن قيمة هذا العقد كانت مناسبة لجعله يتناسى الألم؛ ولهفة الانتقام!

***

أعطى «فتحي» العقد إلى «حلمي مهران» الذي أمسكه ليسحره بريقه، فينظر إلى الخال «فتحي» وهو يقول:

-قولي يا خال «فتحي»، هو أنا اقدر أطلب منك خدمة عمري.

توتر الخال «فتحي» الذي كان ينتظر شيئًا غريبًا على لسان «حلمي مهران» وقد كان!

-هي مش الهانم وريتك مكان العقد فين؟

تساءل «حلمي مهران» ليومئ «فتحي» رأسه بالإيجاب.

-هايل، يبقى احنا لسه ملاقيناش العقد يا خال «فتحي».

***

(١٠)

من بلكون الخال «فتحي»؛ كان «حلمي مهران» إلى جواره، كل منهما يرمق الشارع؛ يراقبا حركة المشاة، ليبدأ كل منهما تخمين قصة كل عابر منهم، وكأن وقتهما فارغ يمتلكون منه الكثير.

-كل واحد من اللي ماشيين دول ليه قصة وحكاية، كل مابعرف واحدة ألاقيها أغرب من الأولى، واللي يعيش كل يوم يشوف.

قالها الخال «فتحي»؛ ليجيبه «حلمي مهران»

-كل واحد فيهم عنده قضية صعبة محتاج اللي يساعده، وأنا بطمع أحل كل يوم قضية.

-مش لازم يا «حلمي»، ربنا زي ما سخرك للناس مسخر غيرك، وكل وقت وليه أدان، خليك في قضيتك، ولا انت هتصدق، وتقيدها ضد مجهول.

ابتسم «حلمي مهران» ثم تساءل:

-طيب هي فين الهانم، ولا أنا هعمل كل حاجة بنفسي.

-وهي عادتك ولا هتشتريها، دور عليها وهي هتلقاك، وبعدين أنت مش مرفوع عنك الحجاب.

قالها الخال «فتحي» وهو يشير إلى جرح جبهة حلمي مهران. لكن الحزن ظهر على

«حلمي مهران» وهو يرمق رعشة يده

-مش عارف هيفضل مرفوع لغاية أمتى؟

ابتسم الخال فتحي واقترب من «حلمي مهران»، واضعاً يده على كتفه:

-ماتخافش يا بني، أوعى تفتكر أن إللي بتشوفه ده عشان غلط طبي، لا....دي منحة من ربنا هو اختارك كدة كدة، يبقى خلاص زي ما هو رتبلك حياتك، رتب أنت ورقك واتكل عليه.

-يعني أعمل العملية؟

ابتسم «فتحي» وقد عاد ينظر إلى الشارع.

-اتكل على ربك يا بني واللي كاتبه هيكون.

وقف «حلمي مهران» الذي لم يكن يعتمد على الخال «فتحي» من الأساس، ولكنه جاء كالعادة من أجل الترفية عن نفسه؛ حتى يستطيع التركيز أكثر عن هدفه.

-طيب أنا عارف هدور على الهانم فين، الحاسة السابعة بقى...تحب تيجي معايا؟

-لا يا غالي أنا دوري خلص ورسالتي ووصلتها، وأنت ما شاء الله عليك بتشوف زينا إللي ولا بينشاف ولا بينقرا.

أجاب الخال «فتحي»؛ ليشير «حلمي مهران» إلي جرح جبهته قائلًا:

-ربنا بيسبب الأسباب يا خال «فتحي»، زمان مكنتش هصدقك، ولا كنت هقعد

معاك هنا.

قالها «حلمي مهران»؛ مشيرًا إلى تلك الإصابة التي فتحت عقله أمام عالم مليء بالأسرار. أخذ «حلمي مهران» دراجته النارية؛ وتوجه به إلى قصر الهانم مستمتعًا بهواء الطريق دون خوذة أمان كالعادة، وهو يستمع إلى موسيقاه الكلاسيكية في سماعة أذنه.

من عند البوابة فتح موظف الأمن الباب مبتسمًا ؛فاندهش «حلمي مهران» وتساءل:

-مش هتسألني رايح فين؟

اقترب الحارس مبتسمًا، وهو يجيب!.

-الهانم مبلغانا!.

ابتسم «حلمي مهران»، ودخل إلى حديقة القصر يتأمل جمالها، ثم صف دراجته عند الباب، وترجل ليطرق الباب؛ ليفتح حارس آخر من فوره، ويشير إلى «حلمي مهران» بالدخول، حيث كانت «مها» هناك في الصالون فتوجه إليها.

-ازيك يا «مها» هانم.

-ضيعت العقد؟

في شماتة قالتها، ليجيب «حلمي مهران» بسرعة بديهة.

-ما انتي ضيعتيه قبل كدة ورجع.

وقفت «مها» في غضب.

-تقصد إيه؟

-ولا حاجة بس واضح ان العقد جالنا غصب عنك.

-انت جاي هنا تهزقني في بيتي؟

بانفعال قالتها «مها» مدافعة عن كبريائها، ليحرجها «حلمي مهران» قائلًا:

-أولا أنا مش جايلك أصلًا، وثانيًا ده مش بيتك ده بيت الهانم.

-انت تقصد إيه؟

قالتها وهي تنظر يمينها ويسارها، وقد فهمت إلى ماذا يشير.

-بالضبط هو كدة بالضبط.

أشار «حلمي مهران» إلى رغبته في لقاء الهانم، فأسرعت «مها» بالصعود هلعًا تنادي زوجها؛ تاركة «حلمي مهران» هناك وحيدًا؛ حتى سمع من خلفه صوت ضحكتها.

-من زمان ماضحكتش كدة.

التفت «حلمي مهران»؛ فوجد الهانم هناك متوقفة.

-أخيرًا قابلت الهانم بشحمها ولحمها.

ضحكت الهانم مرة أخرى، وعلقت.

-الهانم آآآه، بس لكن شحمها ولحمها خلاص رجعوا مكانهم.

وافقها «حلمي مهران»، ونظر أرضًا معتذرًا، لتضيف الهانم.

-جايلي ليه يا «حلمي»؟

-مكنش ينفع أقفل القضية من غير ما اتعرف عليكي.

-يعني مش عشان أقولك فين مكان العقد؟

ابتسم «حلمي مهران»؛ وهو يجيب.

-مكان العقد موجود معايا هنا.

أشار «حلمي مهران» إلى هاتفه الذي كان يتتبع هاتف «سلوى»، لترمق الهانم الشاشة وهي تبتسم موافقة عن المكان.

-يعني أنا مليش دور في حكايتك؟

-بالعكس! انتي أصل الحكاية، وأنا جايلك عشان أعرف أصل العقد.

ابتسمت الهانم؛ وبدأت تقص حكاية هذا العقد التي ظلت الأجيال تتوارثها، جيلًا بعد جيل؛ وصولًا إلى أم اليتامى عند المصرين القدماء «إيزيس»!

-يعني العقد ده أثري؟

تسائل «حلمي مهران» لتجيبه الهانم.

-الدهب بس اللي في العقد، لكن الأحجار موجودة عشان محدش يشك فيه.

-طيب وانتي ليه اتبرعتي بيه؟

-لإني مكنش ليا حد يورثني من دمي.

تفهم «حلمي مهران» قبل أن تختف الهانم، ويجد من خلفه «أمير» متسائلًا.

-انت بتكلم مين؟

في هدوء اقترب «حلمي مهران» من «أمير»:

-انت عارف.

ابتسم «أمير» وتساءل:

-أنت كمان بتشوفها! اشمعنى انا مابشوفهاش، وأنا أكتر واحد محتاجها.

اقترب «حلمي مهران» من «أمير» موضحًا:

-يمكن عشان فيه سر في قلبها حايشها عنك.

صدق «حلمي مهران»، وصدقه «أمير» الذي تساءل عن السر؛ فوضع «حلمي مهران» يده على كتف «أمير».

-الهانم مخلفتش من صلبها يا «أمير».

دمع «أمير» الذي كان يشعر بالحقيقة في صدره؛ ليبتسم له «حلمي مهران» وهو يقول:

-دلوقتي بس اقدر أسيبك....مع الهانم.

صادقًا؛ قالها «حلمي مهران»؛ حيث كانت الهانم خلف «أمير» تنتظره مبتسمة.

***

-أنا مستعد أعمل أي حاجة عشان اخلص من «حلمي مهران»، مش اسرق بس، أنا مستعد أعمل أي حاجة تطلبها مني، يمكن ساعتها اتعالج وأوفر فلوس أتعابك.

قالها «فؤاد» ضاحكًا؛ غير منتبه لتسجيل الدكتور «علي» للجلسة.

***

أطفأ الدكتور «علي» التسجيل؛ مستمتعًا بغدره، فلم يكن ينوي إعطاء «فؤاد» أي مبلغ أو نسبة! رمق الدكتور «علي» ساعته في توتر؛ فلقد كان ينتظر القادم من طرف الخواجة «جون» ليشتري العقد بأكثر من ستين مليون جنيهًا بعدما تأكد من قيمته التراثية، ليظل الدكتور «علي» يعد الدقائق، فلقد هيأ نفسه لاستغلال تلك الملايين الستين، التي سيستلمها بعد عدة دقائق..

إلا أنه سمع صوت طرق غريب قادم من أعلى، فتوتر فلم يكن هناك أي خدم في القصر، خطف نظرة إلى العقد وتساءل إذا كانت الهانم تداعبه، فلم يكترث، وتشجع وأمسك بعصا، وبدأ يصعد شيئًا فشيئًا؛ وهو يتنفس ببطأ مذكرًا نفسه بكل آليات علم النفس المطلوبة لظبط النفس.

وصل إلى الطابق العلوي، والطرْق لا يزال منتظمًا كمعزوفة موسيقية، توقف لحظة

ليدرك أن الصوت قادم من الغرفة الرئيسية، فدخلها وقد كانت مظلمة إلا من إضاءة التلفاز الذي كان يعمل؛ وهو مصدر هذا الطرق المخيف، فارتاح وتوجه إلى مفتاح الإضاءة لتنير الغرفة، ثم توجه إلى التلفاز وأغلقه، تنفس الصعداء، وجلس على السرير، وهو يرمق ساعته، فوجد هناك ثلاثون دقيقة تبعده عن الموعد، فاستلقى ليريح ظهره، ليلفت نظره هذا الخطاف الذي كان مثبتًا على السقف، والذي كان يعرفه بالطبع، مع عودة صوت الطرق الذي صار يقترب من خارج الغرفة، فتوقف «علي» من فوره صارخًا:

-لا يا «حلمي» أرجوك.

من الخارج دخل للتو، وهو يرتدي قناعه الشهير الذي يشبه الكلب المصري القديم «ابن آوى» والذي يرمز لإله الحساب.

-بس أنا مش «حلمي»....أنا «ابن آوى».

قالها بسلام نفسي وتصالح؛ رغم استمرار رعشة يده، ليعلو صوت صراخ الدكتور «علي».

***

وصل المقدم «هشام» إلى مسرح تلك الجريمة الغريبة والتي أبلغ عنها مجهول، ليفتش رجاله المكان؛ وصولًا إلى الغرفة الرئيسية التي وجدت فيها الجثة معلقة على مشنقة «ابن آوى»؛ والتي كانت عبارة عن أثقال تزن نفس وزن الضحية حتى ترفعه من على الأرض بالتساوي، قبل أن يضيف إليها «ابن آوى» مجرد ريشة تصبح كافية لرفع الضحية عن الأرض بضع سنتيمترات هي كافية لجعله يصارع الموت خنقًا دون أن

تنكسر رقبته، حتى يكفر فيها الضحية عن جزء من ذنوبه التي أدت إلى هذا المصير.

-عرفتوا مين المجني عليه؟

تساءل المقدم «هشام» الذي كان مكلفًا بملف هذا القاتل المتسلسل.

-للأسف لأ! مفيش معاه أي ورق ولا بطاقة، وكمان زي ما حضرتك شايف وشه متشوه ولابس ماسك.

قالها أحد رجال الشرطة، ليتابع «هشام» سؤاله.

-طيب صاحب الفيلا يعرف حاجة عن المستأجر ده؟

-للأسف برضة يا فندم، السمسار كان معاه مفتاح البيت، وكان بيأجرها باليوم لأي حد من غير بطاقة.

***

-طيب طيب ياللي بتخيط في إيه؟؟

قالها «فؤاد»؛ منزعجًا من تصاعد صوت الطرق على الباب، ليفتحه على مضدٍ قبل أن يجد من أمامه «حلمي مهران» مبتسمًا.

-انت مجنون... إيه إللي جابك هنا؟

دفع «حلمي مهران» الباب، ودخل بقوة أرهبت «فؤاد» الذي كان في الأصل لينًا.

-أنا جاي اشوف ابني، هو فين؟ «وليد».

-مش هيرد عليك، من ساعة الحفلة وهو مش عايز يسمع اسمك.

علق «فؤاد» في فخر، فلم يبال «حلمي مهران»، وتوجه إلى الداخل؛ حيث غرف النوم، فتبعه «فؤاد» في انفعال.

-انت بتعمل ايه يا بني آدم؟؟؟

لم يبال «حلمي مهران»؛ ودخل إلى ردهة غرف النوم، لتخرج «وعد» حين سمعت اسمه:

-«حلمي» انت هنا؟

قالتها غير منتبهة إلى خروجها بملابس النوم، ليوبخها «فؤاد» لتعود إلى غرفتها لترتدي روبًا، وتعود وتجد «حلمي مهران» قد دخل غرفة ابنه «وليد»، ومن خلفه «فؤاد».

توجه «حلمي مهران» إلى ابنه الذي كان رافضًا للحديث وأخرج من جيبه عقد الهانم اللامع؛ ليتعالى صيحات الأم وابنها؛ بينما صمت «فؤاد» يحاول استجماع قواه..

-أنت لاقيت العقد فين يا «حلمي»؟

تساءلت «وعد» في لهفة أوجعت «فؤاد».

-قلت لك يا «وليد»، مش كل اللي بيتشاف بيتحكي، انت كنت لازم تتعلم الدرس، بالطريقة دي.

دمع «وليد» شاعرًا بالخجل؛ ثم توجه إلى ابيه حاضنًا إياه، ليبتسم «حلمي مهران» وهو يرفعه من الأرض، قبل أن يوجه حديثه إلى «فؤاد».

-«فؤاد» والنبي انا بعتلك الحاجة اللي انت طالبها مني على التليفون.

توتر «فؤاد»؛ وهو يمسك هاتفه؛ ليجد بضع رسائل من هاتف «حلمي مهران»؛ فاستمع إلى أولها؛ والتي كانت بصوت «فؤاد» نفسه.

«أنا مستعد أعمل أي حاجة عشان اخلص من «حلمي مهران»، مش اسرق بس، أنا مستعد أعمل أي حاجة تطلبها مني، يمكن ساعتها اتعالج وأوفر فلوس أتعابك.»

تعرق «فؤاد»؛ الذي فهم تهديد «حلمي مهران»، قبل أن يجد رسالة تليها؛ وهي لخبر من الصحافة كتب فيه.

«ضحية جديدة للقاتل المتسلسل «ابن آوى» ؛ولكن المجني عليه ظل مجهولًا، حيث كان مشوه الوجه يرتدي قناعًا صناعيًا»

كاد «فؤاد» أن يختنق من هول تصارع دقات قلبه؛ قبل أن يجد الرسالة الأخيرة من «حلمي مهران»، كتب فيها الآتي:

« من أجل ابنتك «إيمان»؛ أخت ابني «وليد» سأتركك لتعيش؛ رغم أن جزاء الخيانة هو الموت»

أنهى «فؤاد» الرسائل، وترك الهاتف؛ ليقول بصعوبة.

-شكرًا يا «حلمي» الحاجة وصلت، ما اتحرمش منك أبدًا.

-ولا يهمك!.

قالها «حلمي مهران»؛ وخرج من الغرفة متجهًا إلى غرفة الطفلة «إيمان»؛ التي كان يلاعبها جدها «فاروق»؛ الذي كان يعتبره «حلمي مهران» بمثابة أبيه، فدخل الغرفة ومن بعده ابنه «وليد».

-ازيك يا حمايا واحشني جدًا.

قالها «حلمي مهران»؛ ليبتسم اللواء «فاروق» محرجًا.

-أهلًا يا «حلمي» عاش من شافك يا ابني، تعالى اقعد جمبي.

-هاجي! بس أشيل الأمورة الصغيرة دي.

علق «حلمي مهران» وهو يمسك الطفلة؛ فكاد قلب «فؤاد» التوقف هلعًا، ليطمأنه «حلمي مهران».

-ماتخافش يا «فؤاد»، بنتك في عنيا، انت ناسي إن أنا اللي لحقت «وعد» لما جت تولد.

قالها «حلمي مهران»؛ ليذكر الجميع بوجوده في كل اللحظات الحرجة، فابتسمت «وعد» التي دخلت لتوها الغرفة.

-انت دايمًا موجود لما بنحتاجك يا «حلمي».

في يأس وانكسار؛ جلس «فؤاد»، قبل أن يربت على كتفه للتو «وليد» الذي قال في

براءة.

-اضحك بقى... بابا لقى العقد.

-كانت قضية صعبة أوي يا «وليد»؛ كان صعب أوى أتأكد ان فيه سارق في مملكتي أنا.

ناظرًا إلى «فؤاد» قالها، قبل أن تسأله «وعد»:

-هو صحيح مين اللي سرقه يا «حلمي»؟

ابتسم «وليد»، وعلق قائلًا:

-ما بابا قالك يا ماما، مش كل اللي يتشاف بيتحكي، انتي ما اتعلمتيش الدرس ولا إيه!

***

لم يصدق الدكتور «صلاح» وجود «حلمي مهران» في غرفته بالمستشفى؛ قادمًا مع «ماجي» التي أقنعته بأخذ تلك الخطوة بصعوبة:

-حقيقي ما يجيبها إلا ستاتها، الله ينور عليكي يا «ماجي».

ابتسمت «ماجي» خافية قلقها؛ بينما علق «حلمي مهران»:

-المهم يبقى بفايدة، أنا محتاج إيدي ما تترعشّ.

-هو ده اللي فارق معاك! انت لازم تعالج أصل المشكلة، مش العرض.

علق الدكتور «صلاح» متهكمًا.

-هو ده اللي فارق معايا، أنا ماينفعش إيدي تترعش.

رمقته «ماجي»؛ متفهمة ما يرمي إليه من ناحية الوجة الآخر من عملته!

-بص بقى احنا هنعمل حبة فحوصات بعدها هعرف هنحتاج عملية تانية ولا لأ.

-زي ما قلتلك؛ المهم إيدي ما تترعش، وياريت كمان الوجع ده يقل.

قالها «حلمي مهران» مشيرًا إلى جرح جبهته الناتج عن العملية، والذي جعله حتى تلك اللحظة أسيرًا للمسكنات القوية، المحظورة أحيانًا، لترتب «ماجي» علي يده بينما يستجب الدكتور «صلاح» قائلًا:

-حاضر، بس زي ما قلتلكوا العملية دي مكلفة.

علق الدكتور «صلاح»؛ لتتدخل «ماجي».

-زي ما يكون يا دكتور، احنا بنشتغل ونتعب ليه طيب.

-هي هتتكلف كام يعني؟

تساءل «حلمي مهران» الذي كان في الأصل وارثًا للكثير من الأموال من والدته؛ التي كانت من أهم مقاولي البناء قديمًا، وقد كانت تمتلك الكثير من العقارات التي باعها «حلمي مهران» على مدار عمره حتى انتهت كل أملاكها، خاصة لكثرة تبرعاته إلى الملجأ.

-زي ما تتكلف، أنا محوشة من شغلنا فلوس كتير، ماتخافش.

أُحرج «حلمي مهران» من هذا الدعم الذي تناساه، ورغم شغفه إلا أنه تحدث بسوء الكلام:

-طيب وخطيبك هيوافق على الكلام ده؟

مشيرًا إلى «هشام»؛ الذي كان يحاول التقرب منها على مدار الشهور الطويلة الماضية.

-قلتلك! أنا مفيش حاجة بيني وبين «هشام».

-مع انكوا لايقين جدًا على بعض.

-يا أخي ما قالتلك مفيش حاجة بينهم، بلاش تبقى أعمى القلب والبصيرة كمان.

علق الدكتور «صلاح» متهكمًا؛ لتحرج «ماجي»، إلا أن «حلمي مهران» تابع.

-شوف تحاليلك يا دكتور، ولو مطلوب عملية، أنا اللي هادفع تمنها، انت نسيت أني أهم محامي في بلدك ولا إيه؟

صادقًا؛ قالها «حلمي مهران»؛ فشهرته وذكائه جعلت منه محاميًا؛ يتهافت عليه الجميع.

-على بركة الله، أنا هشوف شغلي، وانت كمان شوف شغلك..

***

من الملجأ؛ ظهرت «حنان» في غرفة «سلوى»؛ لا تفهم ما يرمي إليه «حلمي مهران» الذي بدأ يشرح بهدوء شديد.

-انتي أحق واحدة تمسكي الملجأ ده بعد «سلوى»، على الأقل لغاية ما نلاقي بديل.

-بس انت هتستلم فلوس العقد النهاردة يا «حلمي».

قالتها «حنان» في توتر؛ ليجيبها «حلمي مهران»

- عشان كدة لازم تكوني هنا الفترة دي، مش هلاقي حد أستأمنه على المبلغ ده غيرك، وبعد كدة براحتك بقى، ممكن تعيِّني حد يشيل عنك، زي ما انتي هتشيلي عني.

-أيوة يا «حلمي» بس أنا مفهمش حاجة في الشغل ده؟

-مش مطلوب تفهمي الشغل، المطلوب تحسي بالعيال دي، وأعتقد محدش هيحس بيهم أكتر منك يا «حنان».

قالها «حلمي مهران»؛ ثم خرج إلى صالة الاستقبال؛ حيث كان «هشام» هناك إلى جوار «ماجي» ينتظران القادم لاستلام العقد.

-هو الراجل ده جاي امتى؛ عايزين نخلص من الهم ده بقى.

قالها «هشام» لتعلق «ماجي».

-انت مالك مستعجل ليه ما الفيلم خلص.

-لأ لسه مخلصش، ومش داخل دماغي العقد اللي اتلاقى فجأة ده، ده انا منظري زي الزفت قدام زمايلي.

-مالك يا «هشام» في إيه؟!

تساءل «حلمي مهران» ليجيب «هشام» بشيء من الأنزعاج.

-ولا حاجة! بس الجريمة الجديدة دي بتاعت «ابن آوى» موتراني شويتين.

-هو فيه أي اخبار جديدة عنه؟

في دهاء؛ سألت «ماجي» وهي تنظر إلى «حلمي مهران»؛ ليجيب «هشام».

-مفيش أكتر من اللي كتبت عنه «حنان»، ومعرفش هي عرفت منين؟

مشيرًا إلى «حنان»؛ قالها «هشام»، لتدافع عن نفسها.

-وأنا مالي أنا جاتلي رسالة من مجهول زيك بالضبط.

ضرب الجرس القادم من طرف الخواجة «جون»، ليرفع الحرج عن الجميع؛ ليبدأ «حلمي مهران» إجراءات استلام الخمسين مليون جنيه مصري مقابل بيع العقد بطريقة رسمية وصحيحة أمام الجميع، ليستلم الرجل الأجنبي هذا العقد منبهرًا بانعكاس مراياته السحرية غير منتبه إلى وجود الهانم هناك تبتسم، قبل أن يقترب منها «يوسف»؛ ليشير إليها لتخرج معه إلى الحديقة.

أنهى «حلمي مهران» الإجراءات؛ ثم تركهم وتوجه إلى الخارج، ليرمق الهانم وهي تلاعب أطفال الملجأ، فابتسم لها كما فعلت هي، قبل أن تخرج خلفه «ماجي»

-مبروك! مع إني مش فاهمة حاجة.

-ما انا هحكيلك، بس..... بس المهم تفهميني.

***

وصل مندوب الخواجة إلى غرفته بأحد فنادق النيل الفاخرة؛ والتي كانت مكونة من طابقين، الصالون في الأسفل وغرفة النوم بأعلى، فبدأ الرجل يتحدث إلى الخواجة «جون» عبر الهاتف من أسفل يهنؤه على تلك الصفقة الرابحة، وهو يشرب كأسًا من الخمر.

-مبروك يا خواجة «جون»، العقد حقيقي أثري ويسوى ثروة، عشان كدة مش هخرجه عادي، لازم يخرج بنفس الطريقة اللي بنهرب بيها بقية الأثار كلها.

من مكانه في «فرانكفورت»؛ كان «جون» في منتهى السعادة من تلك الصفقة، قبل أن يعتذر له الرجل قائلًا.

-معلش يا خواجة ثواني وهرجعلك.

قالها الرجل؛ ثم أنهى الاتصال بعد سماعه هذا الطرق القادم من أعلى، فصعد في فضول غريب حتى وجد الصوت قادم من داخل غرفته؛ فتوجه إليها مترقبًا ليجد الصوت قادم من التلفاز فتنفس الصعداء وأضاء مفتاح الإنارة، ثم أغلق التلفاز، واستلقى على

السرير، قبل أن يلاحظ هذا الخطاف المعلق على السقف، فاندهش مع تكرار صوت الطرق، فتوتر الرجل قبل أن يجد عند باب الغرفة العلوية «ابن آوى» يقف مرتديًا قناعه، فبدأ استيعاب ما يحدث؛ فلقد كان مهربًا للآثار المصرية يعرف معنى رموزها؛ وقد كان رمز «ابن آوى» واضحًا بالنسبة إليه.

-انت عايز إيه؟ أنا مستعد أديلك أي حاجة.

-ما أنا عارف! وهخد إللى أنا عايزة.

قالها «ابن آوى» مستمتعًا بثأره؛ رغم رعشة يده التي باتت تجعله يحتاج بعض المساعدة عند اللزوم، تقدم غير مبال بصوت الهاتف الذي كان يرن بالأسفل، حيث كان الخواجة «جون» قلقًا يردد الاتصال، فتوجهت إلى الهاتف «ماجي» التي كانت الآن ممسكة بهذا العقد الساحر، لتجيب الهاتف:

-معلش يا خواجة «جون» الراجل بتاعك مش هيرد، شكله مشغول.

-من أنت؟

تساءل الخواجة «جون» بعربية فصحى غاضبًا، لتجيبه «ماجي» بهدوء:

-«أنبوت»

توتر الخواجة «جون» الذي كان بالطبع يعرف تلك الإله الصامتة التي كانت ظل «ابن آوى» وحارسة طقوسه الخفية، التي كانت دومًا موجودة دون أن تتصدر المشهد.

أمسكت «ماجي» بكأس خمر الرجل وسكبته؛ ثم وضعت مكانه مشروبًا مصريًّا، ثم

اضافت جملة أخيرة معروفة عند كل المصريين!

-نشكرك على تعاونك معنا.... وإلى اللقاء في عمليات أخرى.

***

#بس_المهم_تفهمني

***

انتهى الموسم الأول

إلى اللقاء في الموسم الثاني والقضية التاسعة